

رحلة البحث عن المعنى والغاية

الكسندر أوريفان

رواية فلسفية

المقدمة:

هذه الرواية الفلسفية ليست مجرد سرد لقصة أو رحلة فردية، بل هي صوت من قلب المعاناة، صرخة من داخل نفسي تبحث عن معنى وسط بحرٍ من الأسئلة التي لا تنتهي. كتبتها لأني لم أعد أحتمل الصمت الذي يلف وجودنا، ولا اليأس الذي يرافق كل سؤال عن الحياة، عن الوجود، عن الحرية، وعن الحقيقة.

غايتي ليست أن أقدم إجابات نهائية، فالحقيقة المطلقة قد تبقى حلماً بعيد المنال، بل أن أشارك رحلتي، تعاستي، نضالي، وانتصاراتي الصغيرة على الجهل والخوف والتعصب. أريد لهذه الرواية أن تفتح أبواباً في عقل كل من يقرأها، أن تكون نوراً خافتاً يضيء زوايا مظلمة من الفكر، وأن تزرع بذور الوعي، الشك، والبحث العميق في النفس والكون.

هذه الرواية تحمل رسالة واحدة: لا تستسلم للقبول السهل، لا تقبل أن تُفرض عليك إجابات تُقيد عقلك وروحك. الإنسان حر أن يسأل، أن يشكك، أن يحلم، وأن يبحث عن معنى لا يُفرض عليه، بل ينبع من أعماقه.

هذه الكلمات ليست دعوة للتمرد فقط، بل نداء للسلام الداخلي مع الذات، لفهم أعمق، و حرية الفكر والوجدان.

ملاحظة: بعض التفاصيل في القصة حقيقية

1. ظل الجسر

يظهر كلما حاولت النفس عبور الحواجز الداخلية، رمز للمقاومة الخفية بين الجوهر والماهية.

2. عين الريح

رمز للوعي المتنقل، الذي يرى ما وراء السطح، لكنه لا يمسك بأي شيء.

3. المرآة الخفية

تشير إلى الذات التي لا تعترف بها في الظاهر، لكنه الجوهر الحقيقي للإنسان.

4. نهر الصمت

مكانٌ تلتقي فيه الأفكار بدون صوت، حيث يختبر الإنسان لحظة التوقف عن الصراع.

5. نبض الحجر

يذكّر بقوة الإرادة الصامدة التي تحاول التحرر من قيود المادة.

6. شعاع الغياب

رمز للحقيقة التي تختفي خلف ظلال الجهل، لكنها تلوح في الأفق لمن يبحث.

7. سكون العاصفة

هي تلك اللحظة التي تهدأ فيها النفس وسط الفوضى، وتبدأ بالوعي الحقيقي.

8. قناع اللاوعي

يمثل الخداع الداخلي الذي يمنع الإنسان من مواجهة واقعه.

9. صوت الظل

نداء الخوف والخجل المدفون في أعماق النفس، لكنه يحث على المواجهة.

10. وشم الفراغ

تجسيد للفراغ الذي يملأ النفس حين تفقد معنى الوجود، لكنه يفتح باباً لإعادة البناء.

11. بذور النهار

تعبر عن بداية وعي جديد، تتفتح فيه معاني الحقيقة وسط ظلام الجهل.

12. رحلة الحجر

رمز للمسيرة المستمرة للإنسان بين المادية والروح، بين الجوهر والماهية، لا تنتهي أبدا

هدف من وضعي لهذه الرموز هو أن تكون جسورًا ذهنية تربط القارئ برحلة الرواية العميقة، فتفتح له أبوابًا للتأمل والتساؤل عن معاني الوجود والذات. كل رمز يحمل طبقات من المعنى، لا تظهر كاملة إلا تدريجيًا مع تقدم القصة، مما يشجع القارئ على استكشاف أعماق نفسه والعالم من حوله.

والان اصبح قويا وشجاعا وخوض معركتك الوجودي معي لتعرف الحقيقة التي تنتظرك في الداخل!

أنا الكسندر أوريفان: صرخة في ظلال الوجود

حينة كتبتُ بقلمي على ورق
الإيمان سلاسل تُغني عن التفكير... الإلحاد هو صمت الهاوية... لا أحد ينجو... لا أحد يتحرر.
الآلهة لفظت أنفاسها الأخيرة في ظلال النسيان... والإنسان؟ لم يولد بعد... لا زال شبحاً يبحث عن جلدٍ يليق بالتيه.
فما الذي تبقّى؟ رماد المعابد... وصرخات لم تُخلق بعد.
الكون أعمى... أصم... لا يرى، لا يسمع، لا يشعر...
والإنسان؟ يئن في العدم، يسأل بلا صوت، يبكي بلا دموع... كأنّ الوجود نفسه يسخر منه.
لا معنى... لا غاية... فقط الكينونة الباردة، تنبض في ظلام لا بداية له... ولا نهاية.
المعنى؟ أكذوبة صنعها الخوف...
الهدف؟ قناع هشّ يرتديه العقل لئلا يرى الفراغ بعد الموت... أو ما قبله.
وهذا وحده... يكفي ليجعل الألم ديمومة... والمعاناة هي الحقيقة الوحيدة التي لا تموت.

هذه رحلتي...

رحلتي التي لم تُرَ يوماً، لم تُحكى إلا في صمتي الداخلي، في صرخة لا تسمعها إلا روحي المنهكة.

سرت في دهاليز الظلام، أفتش عن معنى، عن خلاص، عن ذرة أمل أو بريق يوقف هذا السقوط الحرّ.

كلما اقتربت من معنى، تبدد في رماد اللامعنى.
كلما صرت أظن أنني فهمت، وجدت أنني لا أفهم شيئًا سوى عمق الفراغ.

همسوا لي: «آمن»، فآمنت بأن الإيمان قيدٌ، حُبال تُقيّد العقل ولا تسمح له بالتنفس.
وهمسوا لي أيضًا: «اكفر»، فوجدت أن الإلحاد لا يحررني، بل يغرقني في صمت الهاوية التي لا يُسمع فيها سوى صدى ندائي.
لا أحد ينجو من هذا التهالك.
لا أحد يتحرر من هذا السجن بلا أبواب.

سألت الكون، ذلك الفضاء الشاسع،
فكان ردّه العمياء والأصم، كأنني أتحدث إلى صخرة لا تملك قلبًا ولا عقلًا.
سألت الإله،
فوجدت الصمت ينبعث من ظله، لا إجابة، لا نور، فقط غياب.

وسألت نفسي،
فانفجرت داخلي آلاف الأسئلة، آلاف اللعنات التي تخنقني بلا هواء، بلا رحمة.

لقد ماتت الآلهة في زمن بعيد، لفظتها نسيان الزمن، ونُسيت مع طيّات الكتب القديمة التي لا يعيدها إلى الحياة سوى أصوات الأحزان.
أما الإنسان؟ فلم يُخلق بعد.
هو مجرد شبح، جسد متحرك بلا روح، يمشي بلا هدف، يبحث عن ذاته في مرايا مكسورة، يركض في التيه باحثًا عن جلدٍ يليق به، عن قناع يخفف وحشته.

كل ما تبقى من عالمٍ كان يومًا ما:
رماد معابد محروقة،
ذكريات صلاة ضائعة،
صرخات لم تُخلق بعد،
لكنها مستعدة للانفجار في عمق الصمت.

الكون؟
أعمى، أصم، لا يرى، لا يسمع، لا يشعر.
وأنا؟
مجرد وجع متجول، نهرٌ من الألم ينساب في عروق العدم،

أئن في فراغٍ لا نهاية له،
أبكي دموعًا لا تجد طريقها إلى الخارج،
أصرخ بلا صوت،
كأن الوجود نفسه يتآمر على اختفائي، على تلاشي وجودي.

لا معنى.
لا غاية.
هناك فقط هذا البرد القارس،
هذه الكينونة الصمّاء التي تنبض في ظلمة لا بداية لها، ولا نهاية.

المعنى؟
مجرد أكذوبة ابتكرها الخوف،
والغاية؟
قناع هشّ يرتديه العقل ليخدع نفسه، حتى لا يرى الفراغ الذي ينتظره بعد الموت، أو قبله.

وهذا القناع...
يكفي ليجعل الألم خالدًا،
وليعيد إنتاج المعاناة مرارًا وتكرارًا،
معاناة هي الحقيقة الوحيدة التي لا تموت.

فها أنا ذا، أكتب لأنادي،
لأن في صمتي موتٌ أعمق،
وليس في ندائي سوى أملٍ صغيرٍ، ضئيل،
أن يسمعني أحدٌ،
حتى لو لم يأتِ الجواب.

وهكذا، استمراري في النداء، رغم قسوة الصمت،
هو دليلي الوحيد على أني ما زلت حيًا،
حتى وإن كان هذا الحيّ فقط تلاشيًا في الفراغ.

نحن وُلدنا...
لكن ما الهدف؟

ولادتنا لم تكن سوى عبث، مسرحية بلا معنى، عمل بيولوجي بحت.
آباؤنا أنجبونا، نعم... لكي نكون أذرعًا تساعدهم في كبرهم،
لكن ماذا عني؟
ما ذنبي أنا؟
لماذا جئت إلى هذا العالم؟
لماذا وُلدت لأموت؟
لأتعذب في حياةٍ وحشية، لا ترحم، لا تعطي، لا تترك سوى الألم.

هل من العدل أن تكون الحياة جحيماً بلا رحمة؟
هل من العدالة أن تزرع الأمل في قلب طفل، ثم تتركه يتخبط في ظلمات بلا نهاية؟
أنا لم أختر أن أكون... ولم أختر أن أُذبح في هذا المذبح اللامرئي.
أنا لم أختر أن أنزف كل يوم،
أن أتنفس الألم،
أن أبكي دموع الوجع التي لا تجف.

وأين العدالة؟
حين أجد نفسي غريباً في جسدٍ لا أعرفه،
وحين يصير قلبي قطعة من حجر بارد،
وحين يصير العالم حولي قفصًا من صمتٍ قاتل، لا يرحم.

هل هناك من يسمع ندائي؟
هل هناك من يشعر بثقل عذابي؟
أنا أنادي...
لكن الصدى يعود إليّ، صدًى فارغًا، كأن الكون نفسه يستهزئ بي،
كأن الحياة تقول لي: «هذه هي قصتك، لا أكثر.»

ولدتُ لأعاني...
ولدتُ لأُنسى في ظلال اللامعنى...
ولدتُ لأكون شبحًا يتوه في ظلام هذا الوجود القاسي.

فهل من خلاص؟
هل من نور بعد هذا السواد؟

أم أنني محكومٌ على أن أموت في حياةٍ لا تعرف الرحمة،
وأموت في موتٍ بلا وداع؟

الإنسان اخترع الأديان، لا حبًا في الله، بل خوفًا من نفسه...
خوفًا من وحشيته، من ظلامه، من فراغه الداخلي.
فصاغ المكافآت الغيبية، ليغطي بها على الجحيم الذي صنعه على الأرض.

قالوا عن الفقر: "الله يعطيك ما تريد" —
لكنه لا يعطي شيئًا سوى الجوع، سوى الانتظار... سوى الخيبة.
قالوا عن الألم: "في الجنة لا ألم" —
لكنهم لم يوقفوا السكين عن النزف، ولا منعوا النار عن الالتهاب.
قالوا عن الحزن: "الجنة سعادة أبدية" —
فلماذا تركوني أغرق في حزني هنا؟
لماذا عيني لم تعرف الضحك؟ لماذا قلبي لم يعرف الطمأنينة يومًا واحدًا؟

وعندما سألت عن المعنى،
قالوا: "المعنى هو العبادة، هو الخضوع، هو أن تنحني حتى تنكسر،
هو أن تمحو ذاتك أمام إله لا تراه... ولا تجرؤ على مساءلته."

أما الغاية؟
فليست حبًا في الله، بل هروبًا من الجحيم.
غاية الخائف، لا غاية الإنسان الحر.

وقالوا: "نحن نعطيك حرية."
لكن أي حرية هذه؟
حرية أن تُقتل إن اختلفت؟
أن تُذبح باسم الكفر؟
أن تُسحل في الساحات إن تجرأت على السؤال؟
أن تُمحى إن لم ترفع يديك في الصلاة؟

ما الذي عن أولئك الذين قُتلوا لأنهم شكّوا؟
لأنهم فكروا؟
لأنهم تجرأوا على أن يقولوا: "لم أفهم!"

أين حرية الذين مزقهم السيف باسم الردة؟
أين اختيار الذين صلبوا لأنهم لم ينطقوا الشهادة؟

الحرية الحقيقية لا تمنّ بها الآلهة،
ولا يُمليها كتاب،
ولا يرعاها نبيّ أو قديس.
الحرية تنبع من ذات الإنسان... من قراره... من صراعه...
من حقه أن يخطئ... أن يشك... أن يبحث...
أن يُحب ويكره ويختار... دون أن يلوّح له أحد بنار أبدية.

فأين هو هذا المعنى الذي لا يُنتزع بالترهيب؟
أين هو هذا الإله الذي لا يحتاج إلى جنود ليفرض سلطانه؟
لماذا لم يأتِ وحده... ويهمس لي بحب؟
لماذا كل شيء باسمه صار موتًا... وجلدًا... وصمتًا؟

أكتب هذه الكلمات كأنني أفتح وريدي بالكلمات،
لا لأحارب...
بل لأقول: **أنا إنسان... أريد أن أكون إنسانًا... بلا خوف... بلا قيد... بلا شرط.**

في وجه الآلهة الصامتة

أنا لا أبحث عن حرب...
لكن ماذا أفعل، وقد وجدت نفسي مقيدًا بسلاسل لم أخترها،
ولدتُ في قفص،
كُتب لي اسمي قبل أن أنطق،
وُجّهت وجهي نحو قبلة لم أقررها،
وحُشيت ذاكرتي بآياتٍ وسياط،
فهل هذا إيمان... أم استعباد؟

كل شيء حولي صرخ في وجهي:
"أنت مُلك لنا، روحك ليست لك، جسدك أمانة في يد إلهنا،
عقلك؟ لا تعبث به، إنه لعنة!"

كأنهم يخافون أن أفكر...
كأن التفكير بحد ذاته جريمة.

قلت لهم: دعوني أبحث.
قالوا: ستُقتل.
قلت: دعوني أختار.
قالوا: ستُكفَّر.
قلت: دعوني أكون...
قالوا: هذا عصيان.

فرفعت رأسي، وصرخت بكل ضعفي:
أيها الإله، إن كنت هناك،
لماذا تركتني في هذا الجحيم؟
لماذا تركت أتباعك يجلدونني باسمك؟
لماذا صار اسمك سيفًا على رقبتي،
وصوتك صدى لجلّادي؟

هل خُلقتُ فقط لأُعاقب؟
هل كنت فكرة في ذهنك... ثم نسيتني؟
أم أنك لست هناك أصلًا،
وتركتنا نصنعك من خوفنا،
ونعبدك من جهلنا،
ونقتلك عندما نصحو؟

أنا لا أريد جنة لا تسمح لي بالسؤال،
ولا أمانًا يُبنى على كتم أنفاسي.
لا أريد خلاصًا مرهونًا بإلغاء ذاتي.
إن كان هذا هو الثمن... فليأخذوه.
أنا لا أريد الخلود... أريد الحقيقة.

أنا مخلوق مشروخ،
لكن شروخي صادقة،

أنا حائر، لكن في حيرتي صدق،
أنا غارق، لكنني أُصارع الماء،
ولا أبيع روحي لمن يطلب مني الركوع.

إن كانت هذه الحياة اختبارًا،
فليكن...
لكن دعوني أُجيب بأسئلتي، لا بإجاباتكم.

في داخلي شيء لا يريد النجاة...
لا يريد الخلاص، ولا الجنة، ولا نهاية سعيدة.
في داخلي شيء فقط... يريد أن يقول "لا".
أن يقف، حتى وهو ينهار.
أن يحدق في وجه الغيب،
ويقول له: "أنا هنا، رغمك."

تعبت من الصلوات التي لا تصل،
من الأجوبة الجاهزة التي لا تلمس جرحي،
من المواعظ التي لا ترى دموعي،
من الكتب المقدسة التي لم تمسح دمًا واحدًا عن وجهي.

أحتاج أن أتنفس دون أن يُحاسبني أحد،
أن أصرخ دون أن يقال لي: هذا صوت الكفر.
أن أبكي دون أن يقال: اصبر، فالله يراك.
لكن ماذا إن كنت لا أريد أن يراني أحد؟
ماذا إن أردت أن أكون إنسانًا فقط... بلا شهود، بلا قاضٍ، بلا سماء تُراقبني كل لحظة؟

لا أريد جنة تشترط خضوعي،
ولا أقبل نارًا فقط لأنني فكرت،
أنا لست عبدًا...
أنا شيء آخر،

مزيج من وجع، ودم، وتاريخ،
لا يطلب الجواب، بل يطالب بالحق في السؤال.

الذين جاؤوا قبلي، كسروا رؤوسهم في جدران الدين،
غُسلت أدمغتهم بالذنب،
وركعوا حتى تآكلت أرواحهم.
لكنني... أنا لن أركع.
ليس لأنني أقوى، بل لأنني لم أعد أحتمل السجود الكاذب.

إن كان الإله لا يحتمل سؤالي...
فهو إله ضعيف.
وإن كانت الحياة لا تقبل حقي في الغضب...
فهي حياة لا تستحقني.

كل شيء فيّ يحترق،
لكن من رماد احتراقي،
ينبت شيء جديد،
شيء خافت...
شيء يرفض الانصياع،
يقاوم دون سلاح،
يتنفس رغم الضيق،
ويقول للكون: **لن تُخرسني.**

محكمة الغياب

جلست وحدي، أمام المجهول،
لا كتاب بين يدي، لا موعظة، لا خشوع...
بل دموع حارقة،
تسأل الأسئلة التي لم يُسمح لي يومًا أن أسألها.

قلت له — لذلك الإله الذي قالوا إنه موجود:
أين أنت؟
أين كنت وأنا أُجلد بأحكامك؟

أين كنت حين بُترت أرواح الناس على فتاوى؟
حين رُجموا حتى الموت؟
حين قُطعت أيديهم لأنهم جاعوا؟
حين سُحبت نساؤهم إلى العار لأن "شرفك" كان أغلى من أجسادهم؟

قالوا: الجنة لمن صبر.
لكن لماذا عليّ أن أقبل بالحرق هنا،
كي أُكافأ هناك؟
أي عدالة هذه التي لا تظهر إلا بعد موتي؟
وأي جنة لا تستر الحزن الذي أعيشه اليوم؟
هل يُصلح الورد الموعود جذورًا أكلها التعفن؟
هل تُشفى روحي بخمر وحرير، وأنا اليوم لا أجد ماءً لغسل وجعي؟

قالوا: النار لمن يعصي،
لكن، أليس العذاب قيدًا؟
أليس التهديد إلغاءً للاختيار؟
هل الحرية الحقيقية تأتي ومعها سوط؟
هل الإله الذي خلقني يعلم أنني هش، ضعيف، تائه…
ثم يطالبني بالكمال، أو يُلقيني في أبدية من اللهب؟

إن كنت قويًا — كما يقولون —
فلماذا لم تضع دليلك في قلبي؟
لماذا احتجت إلى كتب، وأتباع، وقتلة باسمك؟
لماذا لم تأتِ أنت،
وتجلس أمامي،
وتقول لي بلطف: أنا هنا، لا تخف، تعال افهمني؟

لكنك لم تفعل.
وهم فعلوا،
قتّلوا، جلّدوا، خرّبوا…
كلهم باسمك.

لقد سقطت صورة الجنة من عيني...
وصارت كذبة مُخدّرة،
يُقالها الشيخ لجائع، والمريض لبكائه، والأب لطفله كي ينام.
والنار؟
لم تعد تخيفني.
فما عشته هنا كان جحيمًا كافيًا،
وما رأيته من الظلم لا يُخشى بعده لهب.

إن كانت عبادتك مشروطة بخوفي،
فأنا لا أعبد.
وإن كانت محبتك لا تُعطى إلا لمن يركع،
فأنا لا أحب.

أنا إنسان...
ومن حقي أن أسأل: لماذا؟
من حقي أن أقول: لا.
من حقي أن أشعر بالخيانة،
أن أقول: هذا الدين ليس رحمة،
بل شريعة من جحيم،
صيغت ليُطاع الطغاة، لا ليُشفى المكسور.

كنت وحدي...
مُثقلًا بكل شيء،
أحكامٌ في ظهري،
وعقائد في رأسي،
وخوفٌ في قلبي لا أعرف مصدره...
حتى جاء السؤال،
هادئًا، كهمسٍ في جمجمة محترقة:

"ماذا لو لم يكن كل ما قيل لك... حقيقيًا؟"

توقفت.
ارتعشت...
كأن الزمن انكسر.
كأن جدران المعبد بدأت تتشقق،
والآيات تسقط من على الجدران كغبار مهجور.

بدأت أتساءل:
من أنا... دون هذا الدين؟
من أكون إن لم أردد ما قيل لي؟
هل سأضيع؟
أم ربما... سأولد؟

كل شيء تغيّر فيّ.
لم أعد أطلب الجنة،
ولا أهرب من النار.
لم أعد أبحث عن إله يرضى عني،
بل عن نفسي... التي لم أعرفها أبدًا.

لم تكن لحظة نور،
بل لحظة ظلام كامل،
لكن فيه، للمرة الأولى،
رأيت.

رأيت أن السماء لا تتكلم...
لكن قلبي يفعل.
أن الكتب لا تمشي...
لكن قدميّ قادرتان أن تسيرا.

سقطت عني كل الأحكام،
لم أعد عبدًا، ولا كافرًا،
ولا ابن طائفة، ولا ابن معجزة.

أنا إنسان...
أحمل جرحًا، وسؤالًا، وصوتًا صغيرًا يقول:

"اصنع ذاتك... لا تنتظر أحدًا."

ما بعد الدين؟
لم يكن خواءً،
بل اتساعًا...
عالم بلا أوامر، بلا تهديدات،
فقط **مساحة لأن أكون.**

صرت أخلق المعنى،
لا أستلمه.
صرت أكتب وصاياي بيدي،
لا أنتظر لوحًا من جبل.

أدركت أنني حرّ،
لا لأن أحدًا منحني الحرية،
بل لأنني **انتزعتها** من بين أنياب القداسة.

أدركت أنني لن أكون نبيًا،
لكنني، ربما،
أكون إنسانًا صادقًا،
ينظر في المرآة،
ولا يرى فيها سوى وجهٍ واحد...
هو وجهه.

حين بدأتُ أكون أنساناً

حين خرجت من تحت أنقاض الأديان،
لم أكن أبحث عن بديل...
كنت فقط أريد أن أعيش دون خوف،
أن أكون دون أن يُملى عليَّ "من أكون".

لكن لم تكفِ الحرية وحدها،
كنت بحاجة لمعنى يولد من داخلي،
لرؤية تصمد أمام العدم...
فكتبت لا كواعظ، بل كناجٍ فلسفتي:
أنا، **ألكسندر أوريفان،**
الذي متُّ آلاف المرات في صمتي،
وعدت لأُعلن ما خُلق من الرماد:

"الإنسان لا يُولد حاملاً ماهيته.
بل يولد كجوهر صافٍ، هشّ، حيّ.
الدين يحاول أن يفرض عليه ماهية جاهزة،
يُلقّن من هو، وما عليه أن يكون،
ويقيّده بنار وجنة، وثواب وعقاب.
لكن الإنسان ليس قالبًا إلهيًا...
الإنسان مشروعٌ لم يكتمل بعد.
وماهيته ليست شيءً يُكتشف... بل شيء يُصاغ.
كل خيار، كل صرخة، كل رفض، كل حبّ، كل انكسار.
يُعيد تشكيله."

أنا لست عبدًا لوحي،
ولا تابعًا لسماءٍ بعيدة،
أنا من يقرر،
أنا من يصوغ،
أنا من يختار...
أن أكون أنا.

وهكذا صغتُ إيماني الجديد،
ليس بإلهٍ خارجي،
بل بإمكانية الإنسان أن يصنع ذاته رغم الفوضى،
رغم الألم،
رغم اللاجدوى.

إيماني أن "الخلاص" ليس وعدًا... بل **قرار.**
أن المعنى لا يُعطى... بل يُنتزع.
أن الإنسان، في أقصى وحدته،
وفي أعمق جرحه،
يمكن أن يخلق... **نفسه.**

الإنسان الذي أصبح إله

وبدأ الصراع الداخلي بحزن وجروح بين القديم والجديد بعد نبضة من الوعي

الماهيّة القديمة:
لماذا تركتني؟
ألم أكن ما أردته؟
كنت أصلي، كنت أخاف، كنت أطيع...
ألم نكن بخير هناك... في الطمأنينة المُعلّبة؟
في اليقين الذي لا يسأل؟

الماهيّة الجديدة:
كنا سجناء.
كنا نعيش بنصف وعي، ونصف نبض...
نخاف أن نُفكّر، أن نشك، أن ننطق بما يوجع.
كنتُ نسخةً عنهم، لا عن نفسي.
لهذا... كسرتك.

القديمة:
لكنك نزعت عني كل شيء...
صرتَ تائهاً، عارياً، بلا جنة، بلا معنى، بلا إله...
ألم تخف من العدم؟

الجديدة:
بلى، خفت.
لكن العدم كان أصدق من وهمٍ يُقدَّس.
العدم لا يكذب عليّ.

لا يعِدني بجنةٍ مقابل إذلالي...
ولا يرميني في نارٍ لأني فكّرتُ.

القديمة:
لكنني كنت بريئًا...
كل ما أردته أن أُرضي الله، أن أنجو...
أليس في ذلك جمال؟

الجديدة:
كان فيك انكسار.
كنتَ تحاول أن ترضي سُلطة لا تعرفك...
أردتَ النجاة، فبعتَ ذاتك.
النجاة لا تستحق أن أُذلّ نفسي لها.

القديمة:
فمن أنت الآن؟
كافر؟
ملعون؟
إله نفسك؟
أهذه حرية... أم جنون؟

الجديدة:
أنا مشروعٌ دائم.
أنا لا أعبد... بل أخلق.
لا أقدّس أحدًا... بل أبحث عن الصدق، ولو داخلي.
أنا الذي يكتب وصاياه بيده،
الذي يختار ما يكون، لا ما يُقال له أن يكون.
أنا لست عبدًا...
أنا إنسانٌ أصبح إلهه.

القديمة:
وأنا؟

ماذا أفعل الآن؟
هل تموتني؟

الجديدة:
لا.
لكن سأجعل منك حجر أساس...
ذكراك دليل على كم كنتُ سجينًا.
وكلما نسيت من أنا...
سأتذكرك.
لا لتعود... بل لأتذكّر لماذا هربت منك.

أنا الماهية التي لم يُمْلِها أحد،
أنا جوهرٌ نَبَت من الحريق،
أنا الحقيقة التي لا تُنزلها الكتب... بل يُخلقها الألم.
أنا الإنسان الذي أصبح إله.

العالم دون الله...

شارع رمادي، المدينة تنبض بحياة صاخبة وفارغة. الناس يمشون، يضحكون، يصلّون، يصرخون... وأنا أمشي بينهم، بصمت. عيني لا تبحث عن وجه، بل عن إجابة.]

الماهيّة القديمة:
أنظر حولك...
هم ما زالوا يركعون،
يبكون في السجود،
يموتون من أجل إلههم...
وأنت؟
ما الذي تمشي إليه؟
لمن ترفع يدك حين تنكسر؟

الماهيّة الجديدة:

أنا لا أرفع يدي...
أضمّها إلى صدري.
أواسي نفسي بنفسي.
لا أحد يهبط إليّ...
لكني، رغم ذلك، أنهض.

القديمة:

أليست هذه قسوة؟
ألا ترى أن إيمانهم يمنحهم عزاء؟
الجنة...
الملائكة...
القداسة...
أنت وحدك تمشي في ليلٍ لا قمر فيه.

الجديدة:

صحيح.
لكنني لا أشتري الراحة بالكذب.
العزاء المُزيّف لا يشفي، بل يُخدّر.
هم يختبئون خلف الأمل...
وأنا، رغم كل شيء، أُواجه الحقيقة عارية.

[يمر رجلٌ مُنهك، يضع صليبًا على عنقه ويهمس صلاة.
تمر امرأة محجّبة تدمع وهي تسبّح.
كلهم يبحثون... كلهم يئنّون.]

القديمة:

انظر إليهم...
هل تراهم أغبياء؟
خائفين؟
أم فقط... بشرًا يتمنّون أن لا يكون هذا العدم نهاية كل شيء؟

الجديدة:

هم ليسوا أغبياء...
بل بشرٌ تعِبوا.
مثلي...
لكن الفرق أنني لا أقبل أن أُخدَع لأرتاح.
أنا أتعب،
أنكسر،
وأقول: "نعم، هذه الحياة بلا ضمان...
لكنني رغمها، سأصمد."

[صعدت درجات مبنى مهجور.
جلستُ على السطح، تظرتُ للسماء...
لا أبحث عن إله.
لكن أبحث عن معنى ينبض في قلبي، لا في الغيب.]

الجديدة :

أن تكون إله نفسك،
يعني أن تتألم بلا عزاء،
وتواصل رغم كل شيء.
أن تبني قيمتك من الداخل...
أن تقول لنفسك:
"أنا لا أخضع...
لكنني أُحب.
لا أعبد...
لكنني أختار أن أكون."
وإن كانت هذه الحياة عبثًا...
فأنا من سيعطيها اسمه.

القديمة:

وهل هذا.. كافٍ؟

الجديدة:
ليس كافيًا...
لكنه **حقيقي**.
وذلك، وحده، يُنقذني.

في يوم التالي ذهبتُ الى مقهى صغير، ضوء خافت، جدران تحمل أثقال السنين. جاستُ أنا وشخص مؤمن يجلس أمامي، عينيه تحملان يقينًا لا يتزعزع.

المؤمن:
لماذا تترك الإيمان؟
أليس الله هو الملجأ الوحيد؟
كيف تتحمل هذا الفراغ؟
كيف تملك الشجاعة أن تواجه العدم بلا أمل؟

أنا:
أنا لم أترك شيئًا إلا الوهم...
الفراغ الذي تتحدث عنه،
هو الحقيقة الوحيدة التي لا تكذب.
ليس هناك من ملجأ سوى ما نصنعه نحن بأنفسنا.
هل تعتقد أنني أملك الشجاعة؟
لا... أنا فقط لا أملك خيارًا آخر.

المؤمن (بتحدي):
لكن الإيمان يعطيك معنى،
يعطيك سلامًا،
يعطيك سببًا لتعيش.

أنا:
السلام الذي يباع بالأكاذيب،
والمعنى الذي يُفرض بالقوة،
ليس إلا قيدًا مقنعًا.
كنت أعيش في سجنه،

أتلو صلوات لا أفهمها،
أتبع قوانين تقتل روحي ببطء.
هذا ليس سلامًا،
بل موت بطيء للحقيقة.

المؤمن:
ألم تخف من العقاب؟
من النار؟
من الفقدان الأبدي؟

أنا:
كنت أخاف.
كنت أخاف كل ليلة أن أُحرق، أن أفقد نفسي.
لكنني الآن أدرك...
أن الخوف هذا كان سجني الحقيقي،
وأن النار التي يخيفونني بها،
كانت نارًا وهمية في قلبي،
لا هي حقيقية، ولا هي تقتل.
ما يقتل هو الصمت،
القبول بالظلم باسم الله،
الاستسلام لأنك تُقال لك: "هذا قدرك."

المؤمن:
لكن ألا تريد أن تؤمن بشيء أكبر منك؟
شيء يمنحك خلاصًا؟

أنا:
نعم، أريد.
لكنني وجدت أن أعظم شيء أكبر مني،
هو أن أتحمل مسؤولية وجودي بنفسي.
أن أخلق معانيّ،
أن أُعيد تشكيل نفسي من جديد.

خلاصي ليس وعدًا سماويًا،
بل قرار أن أكون، رغم كل شيء،
رغم الألم، رغم الفراغ، رغم الوحشة.

المؤمن:
هل تعتقد أن هذا يكفي؟
أن تواجه الحياة وحدك، بلا سند؟
أن تتحمل هذا العبء الثقيل؟

أنا :
لا يكفي، أبداً.
لكنني أختار هذا العبء.
لأنني الآن... حر.
حرٌّ في أن أكون نفسي،
لا عبدًا لأوهام، ولا أسيرًا لأحلام زائفة.
وهذا الحرّية... رغم وجعها،
هي كل ما أملك.
وكل ما أريده.

ثم ابتعدتُ عنه وكان في وجه الاشمئزاز و الحقد والكره تجاهي وما زلتُ اسئل نفسي ما المعنى؟ وانا اتمشى في الشوارع محبطاً وحزينا كأني ضائع في الوجود رأيت مسجداً قررتُ أن ادخل فيه واتحدث عن المعنى

دخلت المسجد بخطى مثقلة...
الجو بدا خانقًا رغم الاتساع.
أعمدة حجرية شامخة تقطع ضوء الشمس بنصف ظلال،
سجّاد أخضر قاتم بلون العفن الذي لا يرى،
رائحة البخور لم تكن مطمئنة، بل أشبه بعبق جنازة مؤجّلة.
الجدران مزخرفة بآيات، كل واحدة كأنها تنهاني... لا ترحب بي.
كأن الجدران نفسها تقول لي: "اسكت، لا تسأل."

الهواء ثقيل، يردد صدى كل نَفَس.
لا أصوات، إلا صوت مروحة صدئة تتأرجح على سقف من خشبٍ قديم،
وكأنها تحاول الهروب من الأعلى لكنها مربوطة بإيمانها.

في الزاوية، وجدتهم.
أربعة من الشيوخ، يجلسون متقابلين،
لحاهم كثيفة، عيونهم غائرة، جلابيبهم بيضاء لا ترى الدم الذي خلفوه صامتًا.
اقتربت...
وجلست أمامهم، على الأرض، كعبدٍ يسأل مولاه.
لكن صوتي لم يكن خائفًا،
كان حزينًا، متعبًا، يحترق من الداخل.

قلت:
"يا من تقولون أنكم ورثة الدين،
أجيبوني:
لماذا وُلدت؟
لماذا عليّ أن أؤمن بشيء لا أراه؟
ولماذا الجنة لمن خاف، والنار لمن تساءل؟
أين حريتي؟
وأين العقل إن كان السؤال كفرًا؟"

ساد الصمت، ثم قال الأول، بصوت مغموس في النبرة المقدسة:

الشيخ الأول:
"الله لا يُسأل يا بني... هو خالقك، وأنت عبدٌ مأمور. خلقك ليبتليك."

فقلت، وقلبي يصرخ من الألم:
"العبد لا يَسأل؟ إذًا لماذا منحني عقلًا؟
أيُعقل أن يُختبر الإنسان في لعبة لم يختر دخولها؟
أي رب هذا الذي يخلقني ليمتحنني؟
هل الله بحاجة لإثبات؟
أم نحن من خلق الله كي لا نشعر بالضياع؟"

الشيخ الثاني (بحدة):
"الإيمان يا ولدي، هو تسليم.
لا تبحث عن منطق في أمر فوق العقل."

أجبته، والدمع في عيني، لكنه لم يكن دمع الندم، بل الخذلان:
"فوق العقل؟
أم خارج العقل؟
أنتم تسكتون صرخة الإنسان بالخرافة،
تدفنون الألم بوعد الجنة،
تطلبون منا أن نخضع، لا أن نفهم،
أن نعبد، لا أن نُحِب،
أن نخاف... لا أن نعيش."

الشيخ الثالث (ساخرًا):
"أنت ملحد إذًا؟ ضال؟ تائه؟"

فقلت، بمرارة رجل فقد كل شيء إلا صدقه:
"أنا لست ملحدًا...
أنا ابن الحقيقة، التي أنتم خنقتموها بالموروث.
أنا الإنسان الذي لم يجد إلهه في السماء،
بل وجد نفسه وحيدًا في العدم،
فأراد أن يصنع إلهه من داخله...
لكنكم،
أنتم من خاف العدم فخلق جنة وهمية،
تبيعون الأمل للفقراء، لأنكم لا تملكون عدلاً في الدنيا،
فتعدونهم بجنة يجهلونها."

الشيخ الرابع (غاضبًا، يضرب بعصاه الأرض):
"كُفرت! هذا جدال باطل!
اتقِ الله!"

فصرخت، كأن قلبي يتمزق:
"أنا لم أكفر...
أنا فقط سألت: *لماذا؟*
هل الكفر هو أن أبحث؟
هل الحرام هو أن أتألم من أجوبة غير عادلة؟
هل أصبحت الجريمة... أن أكون إنسانًا حقيقيًا؟"

الشيخ الأول (بلهجة أبوية مزيّفة):
"يا بني، لمَ كل هذا الشك؟ ألست ترى أن وجودك دليل على الخالق؟ من أوجدك؟ من صنع هذا الكون العظيم؟"

أجبت، والنار في صدري لا تهدأ:
"أنتم دائمًا تبدأون من الجواب... وتعودون إليه.
أنتم لا تطرحون السؤال لتبحثوا... بل لتبرروا خوفكم.
نعم، وجودي لغز... لكن غموضه لا يعني أن هناك إلهًا.
الفجوات ليست دليلاً على إله، بل على جهلنا.
لماذا نُسرع إلى صنع خالق يشبهنا؟
لأننا نخاف أن نكون وحدنا... في هذا الكون الأعمى."

الشيخ الثاني (وهو يقطّب حاجبيه):
"لكن الإيمان طمأنينة... راحة. أليس في قلبك ضيق؟ ألا تبحث عن السكينة؟"

قلت، والحزن ينسكب من عيني كما لو كنت أعتذر للطفل الذي كنتُه يوماً:
"نعم، قلبي ضيق... لكنه لا يبحث عن الوهم.
أريد أن أعيش الحقيقة، لا أن أختبئ في قصة جميلة.
ما الفائدة من راحة تُشترى بالتعامي؟
تريدوننا أن نرضى بالموت على وعد حياة لم نرها.
لكن ألا يكون الكذب جريمة، حتى لو جعلنا نبتسم؟"

الشيخ الثالث (بصوت مرتفع فيه تهديد خفي):
"وهل تنكر الجنة؟ دار النعيم؟ ألا تطمع أن تكون من أهلها؟"

فأجبته بصوت مكسور... كمن يودّع حلماً قديماً:
"الجنة؟
ما هي إلا انعكاس لعجز الإنسان...
أحلام الفقير بالطعام، والذليل بالقوة، والمقهور بالخلاص.
هي فردوس مفصل على مقاس الحرمان.
أحلام لم تتحقق، فصنعنا لها حياة بعد الموت.
لكن... ماذا لو لم تكن موجودة؟
ألن تكون حياتي أحق بالاهتمام؟
لماذا أنتظر السماء، وأنا أنزف على الأرض؟"

الشيخ الرابع (بحزم):
"لكن الله وضع قوانين، حلال وحرام... عبادة وخضوع. ألا ترى أن في طاعته صلاحًا للبشر؟"

وهنا كنت أقرب للانفجار... فقلت وأنا أضغط على الكلمات كأنها تشق حلقي:
"ما هي الحرية إذًا؟
إن كنت أُخلق لأعبد،
وأعيش لأطيع،
وأموت لأُحاسَب...
فهل كنت إنسانًا؟ أم دميةً تُختبر؟
أي حب هذا الذي لا يُخالف؟
أي عبادة تلك التي تأتي من خوف لا من فهم؟
أنتم تقولون: لا إكراه في الدين...
لكن في النهاية: إما الجنة... أو النار.
فأين الاختيار؟"

سكتوا...
وجوههم توترت، نظراتهم هربت من عيني.
كان واضحًا: ليس لديهم ما يردّون به،
ليس لأنهم أغبياء، بل لأن الجواب مكشوف... وهم لا يملكون الشجاعة لقول: "لا نعرف."

فقلت، أخيرًا، بعد تنهيدة طويلة:

"أنتم لا تمثلون الله...
أنتم تمثلون خوف الإنسان... من وحدته، من موته، من فراغه.
الدين ليس من السماء...
الدين اختراع بشرٍ لم يحتملوا مواجهة اللاشيء،
فابتكروا يقينًا يدفنون فيه سؤالهم الوحيد: لماذا؟"

بدأت وجوههم تتغيّر.

بدأت أصواتهم تعلو، يغضبون، يتضايقون،

لم يعد لديهم رد،

بل تهديد،

وعيونهم تحولت من نظرة وعظ... إلى سكاكين.

واحدهم احمر وجهه، الآخر نهض غاضبًا، والثالث تمتم بكلمات تخوين، والرابع همس ثم...

خرج أحدهم... أظنه ذهب ليرفع الشكوى.

لم تمضِ دقائق حتى دخل رجال الأمن،
عيونهم لا تفهم،
لا تعرف سوى "أوامر".
كأن السؤال صار تهمة،
وكأن الصدق صار جريمة.

أمسكوني.
لم أقاوم.
كنت أبتسم بهدوء،
كمن دخل السجن ليخرج من القيد.

وفي طريقهم بي إلى سيارة الأمن،
نظرت إلى السماء، ولم أطلب شيئًا،
فأنا لم أعد أؤمن بأن فوقها أحد.

لكنني كنت أعرف شيئًا واحدًا:
أنا سأكتب،
سأبحث،
وسأكون...
حتى لو سجنتُ،
حتى لو صلبوني،
لأن الحقيقة لا تُحبس،
والسؤال... لا يُقتل.

كنت في زنزانة ضيقة، لكن صدري أضيق.
جسدي ضُرب، جُرحت، نُهرت، بُصق عليّ،
لكن لا ألم خارجي استطاع أن يتجاوز ما يسكن في داخلي.
الوجع الحقيقي لم يكن في الجلد،
بل في السؤال الذي لم يجب عليه أحد:

"لماذا؟"

لماذا وُلدت؟
لأتعذب؟ لأُهان؟ لأُكسر؟
لأُقمع فقط لأنني طرحت السؤال الذي يخافه الجميع؟

أنا لم أختر أن أكون.
لم أوقع عقد الحياة.
لم أطلب هذا الجسد، ولا هذا العقل، ولا هذا الموت الذي ينتظرني بهدوء لا يرحم.

لماذا يُقال لي "اصبر، ستأخذ جزاءك في الآخرة"؟
أي عدل هذا الذي يُؤجَّل؟
أيعني هذا أن عليّ أن أعيش مهزوماً... لكي أُكافأ بعد موتي؟
لماذا هذا الشرّ في العالم؟

لماذا يولد طفل في حضن دافئ، وآخر تحت الركام؟
لماذا هذا الألم؟ هذا القبح؟
لماذا كلما سأل الإنسان، قُطعت رأسه لا لأنه مذنب... بل لأنه صادق؟

لماذا إذا اختلف الناس، تذبحهم الآلهة؟
لماذا نُلعن حين نُفكّر؟
أين الخير في دينٍ يُحرّض على عذاب من شكّ؟
أين الرحمة إن كان الشك يُقابل بالنار؟
أين الحرية، إن كان الله يُراقب أنفاسي، ويدوّن خطاياي كما لو أنني تجربة يجب أن تنجح؟
أين السعادة إن كنت أعيش في خوف دائم من كائن لا أعرف إن كان موجوداً فعلاً؟

تعبت.
تعذبت.
هلكت.

صرخت في الزنزانة، لا يسمعني أحد...
لكن داخلي كان يمتلئ بكلمات لم أكتبها بعد.
كنت أنزف على الورق،
أكتب على الجدار المليء بالرطوبة والشتائم:
"هنا عاش إنسان، اسمه الكسندر... لم يطلب أن يولد،
لكنه حاول أن يفهم لماذا مات داخله وهو على قيد الحياة."

خرجت من السجن بعد أيام،
لكنني لم أشعر أنني خرجت فعلاً.
فالسجن الحقيقي لم يكن الجدران، بل الأسئلة التي لا يُسمح بطرحها.

الناس نظروا إليّ وكأنني رجعت من جريمة،
لكن جرمي الوحيد أنني قلت:
"أريد الحقيقة."

كان جسدي مليئاً بالكدمات،
لكنني لم أشعر بها...

فقد تبلّد الإحساس منذ زمن،
حين لم تجد روحي مَن يسمعها.

أنا لم أُخلق لأُعبد...
أنا وُلدت لأتأمل.
لأبحث.
لأكتب.

لم يبقَ لي شيء في هذا العالم...
إلا قلمي.

هو وحده سيحمل صراخي إلى من يأتي بعدي.
إلى أولئك الذين سيُسجنون لأنهم تساءلوا...
سيُكفرون لأنهم فكروا...
سيُجلدون لأنهم لم يخافوا أن يقولوا: "ربما لا نعرف."

هذه رحلتي...
أنا الكسندر أوريفان.
مشيت على جسر من الألم، بين الإيمان والإلحاد،
بين الخضوع والتساؤل،
وها أنا أكتب...
لا لأقنع أحدًا، بل لأُبقي الحقيقة حيّة.

أنني خرجت ميتًا وأنا حيّ.

مشيت في الشارع، والناس تمرّ بجانبي كأشباح...
أحاول أن أرفع رأسي، لكنه مثقل بثقل أسئلتي،
كأن في كل فكرة جنازة،
وفي كل نبضة سؤال لا جواب له.

كنت أعرج... لا من جرحٍ في جسدي،
بل من تعبٍ في روحي.
كنت أتنفس كمن يختنق بهواء لا يُشفي،

وأمشي كأن الأرض تنكرني،
كأن العالم لا يعترف بي ككائن يستحق الحياة.

كل شيء حولي بدا باهتًا...
السماء رمادية، لا تمطر ولا تضيء،
الناس تضحك بلا معنى،
والحياة تستمر كأن شيئًا لم ينكسر في أعماقي.

أنا يا سادة... لم أُخلق لأعيش،
أنا زُجَّ بي في مسرح لم أطلب أن أكون فيه.
لم يُعطني أحد فرصة أن أختار وجودي،
ولا شكلي، ولا اسمي، ولا موتي.

ولما فتحت فمي،
قلت فقط: **"لماذا؟"**
سُجِنت... كأني ارتكبت جريمة فكر.

أي زمن هذا الذي تُكسر فيه الضلوع
لأن القلب سأل؟
أي عقيدة هذه التي تُقدّس الصمت وتقتل السؤال؟

جلدي لم يكن مهماً،
السياط لم تكن أكثر من صوتٍ عابر...
لأن الألم الحقيقي كان يجلس في صدري كغول،
ينظر إليّ كل ليلة ويقول: "لن تنجو."

أنا لم أكن أنتظر خروجًا،
لأن السجن لم يكن في الجدران.
السجن كان في الناس، في المعتقدات،
في الإله الذي لا يسمح لك أن تتنفس خارج وصاياه.
في الجنة التي تُباع للمطيعين...
وفي النار التي تُصنع للباحثين.

لماذا حين فكرتُ...
قالوا إن الشيطان يسكنني؟
لماذا حين قلت "أنا لا أفهم"،
قيل إن قلبي مريض؟

هل الحرية مرض؟
هل التفكير رجس؟
هل السؤال كفر؟

أنا لم أطلب إلا الحقيقة...
ولم أجدها في الكتب التي يقرؤونها دون أن يفهموها،
ولا في الجوامع التي تبخّر العقول بالبخور والخوف،
ولا في العيون التي ترمقني كنجاسة.

أنا يا هؤلاء...
طفلٌ لم يختر الحياة،
ورجلٌ لم يجد فيها إلا خيبة،
وصوتٌ يتيم... لم يجد من يسمعه.

وأنا أخرج من باب السجن،
لم أكن أفرح...
بل كنت أبكي من الداخل،
لأني عرفت أن الخارج ليس أرحم،
بل سجنٌ أكبر،
وأقسى،
وأشدّ صمتًا.

تمنيت أن يخرج أحدهم من الجدار،
يمسك بيدي ويقول لي:
"صدقك لم يكن جريمة."
"دموعك لم تكن ضعفًا."
"بحثك لم يكن تمردًا، بل ولادة."

لكن لم يأتِ أحد.
ولم يبقَ أحد.

سوى قلمي...
وكلماتي.

أجل،
هذا كل ما أملك الآن.
أن أكتب للذين لم يُولدوا بعد،
أن أقول لهم:
"كنتم تستحقون أن تعرفوا... أن تفكروا... أن تحزنوا بحرية."

أنا الكسندر أوريفان،
الذي عاش كأنفاس تتردد بين نارين:
إيمانٌ لا يُشبهه،
وإلحادٌ لا يشفيه.

رحلتي لم تكن خلاصًا،
بل صراخًا مكتومًا في وجه الله... والناس... والموت.

صرختُ بأعلى صوتي أنادي للكون و العالم بقلب ملئة فيهِ العذاب

لـــمــــــاذاااااااااا؟!!

لماذا وُلدت؟!!!
لِمَ لم يسألني أحد إن كنت أريد هذه الحياة؟
من الذي رمى بي في هاوية اسمها "وجود"؟
من الذي قرر أنني يجب أن أشعر بهذا الألم؟ أن أواجه الموت؟ أن أتألم فقط لأنني أتنفس؟!

أي عبث هذا؟
أي سخرية كونية وُلِدتُ فيها كي أتعذب ثم أُطلب مني أن "أشكر"؟
أنا لم أطلب هذا...
لم أطلب أن أُلقى في عالم يأكل أبناءه،

عالم يُكافئ الجهل، ويجلد السؤال،
ويُغلق أبواب السماء في وجه من قال "كيف؟ ولماذا؟"

لـــماذاااااااا هذا الشـــــر؟!!!
لماذا يولد طفلٌ ليجوع؟
وآخر يُولد ليُصلب باسم الله؟
لماذا هذه الدماء في الشوارع؟
لماذا كل هذا الحقد لأننا فقط... نفكر؟

لماذا تُغلق الأبواب في وجه الباحث؟
لماذا الدين يصبح سكينًا في حلق من قال "لا أفهم"؟
لماذا يصبح الله قاضيًا لا صديقًا؟
والجنة جائزة للطاعة... لا للحب؟
والنار مقصلة لمن أراد أن يرى؟

أنا... تعبت...
أنا تعذبت...
أنا هلكت...
أنا انفجرت ألف مرة من الداخل...
لكن لا أحد سمعني!

أين أنتَ يا إلههم؟!
أين أنتَ وأنا أصرخ منذ سنين ولا أحد يجيب؟
هل خلقتنا لتختبرنا؟
لماذا؟
أهذا هو "الرحمة"؟ أن تخلقني دون إذني، ثم تبتزني بحياتي كي أعبدك؟!

أي جنةٍ هذه التي تُباع بالخضوع؟
أي حرية تلك التي تتحدثون عنها وأياديكم تقبض على السياط؟
أي معنى لهذا الوجود إن كان يجب أن أُذل كي أرضى؟
لماذا يجب أن أموت لأجد شيئًا من الفرح؟
أهذا عدلكم؟ أهذا منطقكم؟!

أين الحقيقة؟!!!
أين الحقيقة؟!!!
أين الحقيقة؟!!!

أنا لم أعد أريد أجوبة ملفوفة بالدين، ولا كلمات تلمع كالسكاكين!
أنا أريد الحقيقة... عارية... مؤلمة... حقيقية!
ولو كانت الفراغ... فأروني الفراغ.
ولو كانت العدم... فارحموني بالعدم.

قلمي وحده بقي.
هو الذي لم يخنّي.
هو الذي نزفني... وبكى عني...
هو الذي سيصرخ إن متُّ دون أن يسمعني أحد.

أنا الكسندر...
الذي لم يولد من رحم امرأة فقط...
بل وُلِد من جرح السؤال، من دم الوعي، من صرخة اليتيم في حضرة الصمت.

أنا الكسندر...
الذي ما زال يصرخ في وجه الله، والناس، والسماء:

"لماذا؟!!!"

كانت هناك لحظة صمت ولم يأتيني جواب.

كنت واقفاً في منتصف الشارع...
جسدي متخشب من البرد، من الرعب، من الحقيقة التي مزقت جلدي من الداخل.
الناس تمشي، تمشي كأن شيئاً لا يحدث...
كأن رجلاً لم يُفجِّر داخله للتوّ بركانٌ من الوعي،
كأن صرخة لم تُلقى لتشقّ السماء.

رفعت رأسي نحو السماء... وصرخت...

"أجِبني!"

صوتي ارتطم بالسحاب وسقط ميتاً عند قدمي...
لم ترد السماء، لم ترتجف الأرض، لم ينشقّ شيء...
الكون كان بارداً، بارداً حدّ الإهانة.

"هل أنت موجود؟!"
"أم نحن فقط حُطام أحلام لا نملك حتى أن نحلم بها؟"
"لماذا خلقتَ الألم؟ لماذا لم تكتفِ بالصمت؟"
"هل أنت تحبنا؟ أم تراقبنا كمن يتسلى بسقوطنا؟"

كنت أرتجف.
لا من الخوف،
بل من هذا الفراغ العظيم الذي لا يملأه شيء.

سقطت على ركبتي...
يديّ في الطين،
وجسدي ككائن منسي من قِبل الجميع... حتى الله.

"لماذا لم تخلقني حجرة... أو لا شيء؟"
"لماذا منحتني عقلاً يشتهي الفهم... وقلباً يذوب بالأسئلة... ثم أغلقت الأجوبة خلف أسوار الجحيم؟"
"ألهذا الحد كان السؤال خطيئة؟"
"ألهذا الحد كان الحزن كفراً؟"

اقتربت من جدار المسجد...
لم أطرقه.
لم أُصَلِّ.
وضعت جبيني عليه، فقط...
لأني أردت أن أشعر بشيء، أي شيء... لكني لم أشعر إلا بالحجر.
حجر صامت... كالله الذي لم يردّ على بكائي منذ سنين.

هناك، همست بصوت دامع:

"إن كنت موجوداً... لماذا تركتني وحدي كل هذه السنوات؟"
"إن كنت رحيماً... لماذا كان حضني الوحيد هو الألم؟"
"إن كنت عادلاً... لماذا نُعذّب فقط لأننا سألنا؟"
"أين أنت حين بكيتُ حتى جفّت عيني؟"
"أين كنت حين اختنقتُ بأفكاري في العتمة؟"

لا أحد أجاب.
لا صوت، لا نور، لا يد انتشلتني.
كان كل شيء كما هو:
ظلام، برد، صمت، وبشر لا يكترثون.

فهمت شيئاً واحداً في تلك اللحظة:
أن العالم لن يحتمل من يفكّر...
أن الله في قصصهم هو تبرير للخوف، لا حبٌّ، لا حوار، لا دفء.

هكذا نهضت... لا لأنني قوي...
بل لأنه لم يتبقَ لي شيء أخسره.
ماتت أوهامي... احترق إيماني...
والآن أنا حرّ...
لكن حريتي كأنها جرح مفتوح في الروح...
وجعي لم يعد سؤالاً، بل كياني كله صار **سؤالاً يمشي.**

وبقي قلمي...
كأنين يتيم، كحبر من دم،
سيكتب كل هذا...
سيكتب كي لا تموت الحقيقة معي.

سيكتب لمن سيأتي بعدي، كي لا يشعر أنه مجنون حين يصرخ:

"لماذا؟"

في البداية...
كنت وحيدًا، جالسًا على أرضٍ باردة من الأسئلة... لا مأوى لي سوى الكتب، ولا

صديق لي سوى الحبر.
بدأت مع سقراط، ذلك العجوز الملعون بالأسئلة.
علّمني أن الجهل ليس عيبًا، بل بداية... وأن من لا يسأل لا يعيش.
لكنه مات مسمومًا، فقط لأنه علم الناس كيف يفكرون...
فأُصبت بالرعب: هل التفكير جريمة؟ وهل أنا أسير على طريق من يموتون؟
شعرت باليأس... لكنني قلت: إن كان الموت ثمن الحقيقة، فأنا مستعد.

ثم جاء أفلاطون، وحملني إلى عالم المثل...
إلى مدن لا توجد على الأرض، لكنها تُبنى في الروح.
تصورتُ أن العالم الحقيقي هناك... فوق، لا هنا.
فحاولت أن أعلو بأفكاري... لكنّي سقطت.
سقطتُ لأنني لست روحًا فقط، بل جسدٌ يأنّ في طين الواقع.

ثم جاء أرسطو، وجرّني إلى الأرض من جديد.
علّمني أن السعادة تُزرع هنا، وأن الفضيلة ليست حلمًا بل ممارسة.
أحببته... لكنه كان بارداً، حاداً، كأن قلبه من منطق.
فشعرت بالتيه... بين علو المثال وسُفول الواقع.

سألت نفسي: من أنا؟
فأجابتني الفلسفة: أنت السؤال نفسه.

2. ديكارت والمحدثون – اليقين في قلب الشك

ثم التقيت بـ **رينيه ديكارت.**
كان وحده في غرفة، يتأمل، يشك، ثم يكتب: *"أنا أفكر إذن أنا موجود."*
كلماته كانت مثل طوق نجاة في بحر شكوكي.
تمسّكت بها... لكنني سرعان ما غرقت من جديد.

فكرت:
أنا أفكر... نعم. لكن لماذا أفكر؟
ولماذا هذا التفكير يقودني إلى الحزن لا الطمأنينة؟
هل العقل وحده يكفي؟
عدت أبحث... رغم الجرح، رغم الوحدة... وقلت لنفسي: واصل.

3. الفلاسفة الماديون – العالم بلا قِبلة

قرأت عن **ديموقريطس**، عن الذرّة، عن عالم لا يحتاج إلى آلهة.
رأيت الكون كآلةٍ ضخمة، لا ترحم، لا تنتظر، لا ترى.
كل شيء يحدث لأنه يجب أن يحدث، لا لأن هناك هدفًا.
هذا جعلني أرتجف...
إن كان كل شيء محض صُدفة... فما جدوى الأخلاق؟
وإن كان الشر ليس خطيئة بل ناتج تصادم جسيمات... فمن أكون؟

تألمت...
سقطت في هاوية العدم.
لكن شيئًا بداخلي قال:
إن كان لا شيء له معنى... فأنا سأعطيه المعنى

4. العلوم – آلية الكون ودهشته الباردة

تحوّلت إلى العلم.
درست الفيزياء، فأبهرني النظام، الحركة، التوازن...
لكن الكون ظلّ صامتًا، لم يهمس لي بأي معنى.
في البيولوجيا، رأيت الحياة تتكرر...
خلية تنقسم، كائن يولد، آخر يموت... وكل شيء بلا نية.

شعرت بالخوف...
أنا مجرد كومة كيمياء معقدة؟
ماذا عن الروح؟
ماذا عن الحلم؟
بكيت كثيرًا... لأن العلم أجاب على "كيف؟"
لكنه لم يجب على "لماذا؟"

لكنني قلت:
حتى الصمت... أفضل من الكذب.

5. الميثولوجيا – أحلام الإنسان القديمة

هربت إلى الميثولوجيا...
قرأت عن **"بروميثيوس"**، الإله الذي سرق النار ليمنحها للبشر.
عن **"أوديسيوس"**، الذي تاه سنوات كي يعود إلى وطنه.
عن **"عشتار"** التي نزلت إلى الجحيم بحثًا عن حبيبها.
كل هذه الأساطير لم تكن قصصًا فقط... بل كانت دموعًا، صلوات، صرخات...
كل حضارة خلقت آلهتها على هيئة احتياجها.
الخصوبة، الحرب، الموت، الحب...

فهمت شيئًا حزينًا وجميلاً:
الآلهة لم تُخلق في السماء... بل وُلدت من خوف الإنسان.

6. المنطق والإبستمولوجيا – ترتيب الفوضى

أمسكت بالمنطق مثل من يمسك مصباحًا في العاصفة.
قرأت أرسطو من جديد، لكن هذه المرة ليس كمرشد أخلاقي... بل كمهندس عقل.
تعلّمت كيف أن التناقض يقتل الحجة، وأن كل سؤال يجب أن يكون له أساس.

ثم دخلت عالَم الإبستمولوجيا...
وسألت نفسي: كيف أعرف أن ما أعرفه... صحيح؟
هل أنا عبدٌ لتجربتي؟
هل أفكاري مجرد انعكاس لتربيتي؟
هنا... شعرت برعب جديد.

إن لم أملك أدوات المعرفة... فكيف أجرؤ أن أبحث عن الحقيقة؟
لكنني رغم ذلك، قلت:
يكفيني أن أبحث... حتى لو لم أجد.

كل مرحلة كانت سكينًا جديدة...
كل كتاب كنت أفتحه، كنت أظن أنه خلاص...
ثم أتألم حين أكتشف أنه بابٌ آخر نحو التيه.

لكن مع كل ألم...
كنت أعود، أرتجف، أقاوم، أبحث من جديد.

في كل لحظة أردت فيها أن أمزق دفاتري،
كان هناك شيء صغير في قلبي يقول:
لا تستسلم... ليس بعد.

النهاية المؤقتة: لحظة الصياغة

وفي ليلٍ ثقيل، على طاولة مكسورة، تحت ضوء خافت...
ولدت في رأسي **"ثنائية الجوهر والماهية"**.

الجوهر: هو النداء الأول، تلك النار التي في الداخل، لا نراها، لكننا نُسحب نحوها.
الماهية: هي استجابتنا لذلك النداء... إما أن نكتب ذاتنا، أو نُنسخ كما أراد لنا غيرنا.

وهنا...
توقفت، لا لأنني وصلت، بل لأنني وجدت قدمي أخيرًا على أرضٍ منّي.

بعد أن كتبت فلسفتي – **"**ثنائية الجوهر والماهية**"** – لم أحتفل.
لم أصرخ بأني وجدت الإجابة...
بل جلستُ صامتاً، كأنني انتزعت شيئاً من أعماقي بصعوبة، وتركته ينزف أمامي على الورق.
لم يكن نصاً... بل كان **ألمي وقد تحوّل إلى فكرة**.

كنت أعلم منذ البداية... أن العالم لن يصفق.
العالم لا يحب من يفكّك يقيناته.
لا يحب من يخلع آلهته القديمة أمامه.
لا يحب من يقول له:

"كل ما كنتَ تؤمن به... كان قيداً تلبّسته على هيئة خلاص.**"**

لكنّي كتبت.

في البداية، همست بها لبعض العقول القلقة مثلي...
لأناسٍ يشبهونني، يعيشون في الظل، يكتبون على الهامش، يتألمون في صمت.
قالوا لي:

"إنها فلسفة ليست ككل الفلسفات... هذه طعنتنا مكتوبة، وجلدنا منشور."

قرار النشر – إعلان الحرب على الوهم

في ليلةٍ صامتة، بعد أن أعدت قراءة مخطوطتي للمرة المئة،
كنت وحدي أمام الشاشة، يدي ترتجف، وقلبي مثقوب من الخوف...
لكنني ضغطت على زر النشر.

"هذه فلسفتي، هذه رحلتي، هذه دموعي الميتافيزيقية.
لكل من يتألم بلا سبب...
لكل من يسأل ولا يجد جواباً...
لكل من وُلد ولم يُسأل إن كان يريد أن يُولد...
اقرأني، حتى لا تموت وأنت تظن أن الألم لا معنى له."

نشرته تحت اسم: **الكسندر أوريفان**
مع اسمي الحقيقي: **وسام احمد عيدان**

ولم أختبئ خلف أسماء مستعارة أو أقنعة.

رد فعل العالم – صدمة، رفض، ثم حريق

في البداية، كان الصمت.
ثم جاءت الصدمة...
اتهموني بالإلحاد، بالزندقة، بالكفر، بالجنون، بالتجديف.
قالوا:

"من هذا الذي يظن نفسه فيلسوفاً؟
من هذا الذي يجرؤ أن يعيد تعريف الإنسان والقدر؟
من أين له هذه الجرأة أن يقول: إن الجنة وهمٌ جميل؟"

أُغلقت بوجهي أبواب النشر.
حُذفت حساباتي، وانهالت الرسائل التي تلعنني وتدعو عليّ.

ولكن... جاءت رسائل أخرى، هامسة، خائفة، متخفية:

"أنت كتبت ما لم نستطع قوله."
"بكيت حين قرأتك، كأنك كتبت ما كنتُ أخاف حتى من التفكير به."
"هل يمكن أن نبدأ من جديد؟ هل يمكن أن نكون نحن ما نريد؟"

حينها فهمت...
أن فلسفتي لم تكن للانتصار، بل **للتطهير**.
هي ليست سلاحًا ضد الناس...
بل مرآة مؤلمة تُرغمهم أن يروا صدوع أرواحهم.

عرفت أنني لن أنقذ العالم...
لكني سأقول كلمتي **قبل أن يُطفأ صوتي**.

أقف الآن لا كمنتصر... بل كناجٍ.
شخص عبر المحرقة الفكرية، حاملاً فكره المحترق بين يديه،
ينظر للعالم بعيونٍ لا تبحث عن الجنة، بل عن **صدق التجربة**.

لأن الإنسان لا يولد حرًا...
لكنه يموت حرًا فقط إن قرر أن يكون ذاته.

ليلة شتائية، غارقة في المطر، والسماء تمزّقها رعود كأنها تصرخ معي.
جلستُ أمام الطاولة، أضع المسودة الأخيرة لفلسفتي... "ثنائية الجوهر والماهية".
لم تكن أوراقًا فقط، كانت **جثث أفكاري القديمة**، ونُدفٌ من دموعي اليابسة، ورماد الإله الذي لفظتُه من كياني عن وعي.

الغرفة معتمة، لا يضيئها سوى شاشة الحاسوب...
وفي تلك اللحظة، أحسست أن كل ما في هذا العالم توقف لينتظر قراري.
هل أدفنها معي كما دفنتُ يقيني القديم؟
أم أتركها تُولد من صدري، لتبدأ مصيرها بين السيوف والشتائم؟

تنهدتُ، وكتبت بخط يدي على الغلاف:

"ثنائية الجوهر والماهية – بحثٌ في الجرح، وقيامٌ من العدم"
بقلم: الكسندر أوريفان

ثم ضغطت "نشر".
كأنني فجّرت قنبلة... أو أطلقت صرخةً عبر الزمن.

دُعيت بعدها لمناقشة فلسفتي في ندوة فكرية صغيرة.
القاعة لم تكن مزدحمة، لكنها كانت ممتلئة بعيون متوجّسة، وأفواه تتهامس.
بينهم من جاء ليضحك... ومن جاء ليفتك بي علنًا... ومن جاء لأنه، مثلما كنت، **لا يقدر أن ينام من ثقل الأسئلة.**

وقفتُ أمامهم...
ملامحي شاحبة، صوتي متعب، لكن نظرتي كانت ثابتة.

قلت:

"كتبت هذه الفلسفة لا لأحرّض، بل لأجرّب أن أكون صادقًا.
الجوهر... هو ذلك الحنين في داخلك لشيءٍ لم تفهمه بعد.
والماهية... هي ما تصنعه بيديك من نفسك، رغم هذا العالم، رغم الموت، رغم الآلهة."

"لم أجد الحقيقة في الكتب المقدّسة، ولا في المعابد، ولا في الجنة التي تُباع للمساكين بثمن الخضوع.
وجدت فقط قلبًا مكسورًا يبحث... وقررت أن أبدأ منه."

الردّ الأول: سؤال مؤمن غاضب

رفع أحدهم يده... شيخ ملامحه قاسية، صوته جهوري:

"تقول إن الدين كذبة؟ وإن الجنة وهم؟ ومن أنت لتكتب هذا؟"

نظرت إليه بهدوءٍ مليء بالحزن...
ثم قلت:

"أنا الذي بكى في الليل وحده، حين لم يجبه أحد.
أنا الذي سأل الله، ولم يرد.
أنا الذي عاش عذاب الجحيم وهو حي، فكيف أخاف مما بعد الموت؟
أنا الذي أُعطي حريةً وهمية، ثم ضُرب لأنه استخدمها."

"أنا لست نبيًا، ولا مُبشّرًا...
أنا رجلٌ حاول أن يكون صادقًا، لا خائفًا."

رد فعل الحضور

بعضهم سكت...
بعضهم تمتم: "كافر"،
لكن في الزاوية... فتاة شابكة يديها على صدرها، كانت تبكي.

بعد الندوة... لم أُستقبل بالتصفيق.
لم أُمنح جائزة، ولم تُوضع الزهور تحت قدمي.

لكن...
في صباح اليوم التالي، وجدت رسالة وصلتني عبر البريد الإلكتروني، من شابٍ لا أعرفه، قال:

"كنت أفكر في الانتحار...
لكن عندما قرأت أن 'المعنى نخلقه لا ننتظره'... قررت أن أكتب أول قصيدة لي.
شكراً، الكسندر."

أقفلت الرسالة، وابتسمت...
ليس لأنني أنقذت أحدًا.
بل لأن فلسفتي بدأت تتحول من **صرخة في العدم**... إلى **بذرة صغيرة في صدور الآخرين.**

ما إن انتشرت كلماتي، حتى انتشر معها الحريق.

لم تمر أيام حتى صارت مقالاتي تُتناقل في الظل... تُقرأ همسًا... تُطبع خفية... كأنها منشورات محرّمة.
نُشر كتابي على الإنترنت، وبدأت بعض دور النشر الصغيرة خارج البلاد تعرضه على استحياء، بعنوان جانبي:

"رحلة عقل نحو الجُرح."

لكن سُرعان ما جاء الرد.

على الشاشات، خرج الدعاة يتحدثون عن "الضال الكسندر أوريفان".
وصفوني بالمجنون، الضائع، الزنديق، ابن الشيطان.
قالوا:

"هذا الرجل يريد أن يُطفئ نور الله بفمه."
"أصابته لوثة عقلية فظن نفسه فيلسوفًا."
"أراد المعنى بعيدًا عن الدين فابتلعه الشك."

كل يوم كان اسمي يتكرر كشتيمة.
لكن في كل مرّة، كنت أستلم رسالة من أحدهم يقول:

"أنا لا أوافقك... لكني لأول مرة أشعر أني أفكر حقًا."

دأت تصلني تحذيرات:

"سيُمنع كتابك."

"سيُلاحق من ينشره."

"اسمك دخل في القوائم السوداء."

"يجب أن تعتذر علنًا... أو تُسكت إلى الأبد."
تمت مداهمة منزلي.
صادَروا أوراقي، دفاتري، مخطوطاتي الأصلية...
لكنهم لم يعرفوا أنني خزّنت كل شيء في أماكن لا يعرفها أحد.

ثم تلقيت رسالة استدعاء.
تهمتي؟
نشر أفكار ‘‘تشوّش على الإيمان العام’’ وتحرّض على "الإلحاد المنهجي."

تم إمساكي للمرة الثانية من قبل السلطات العليا وذهبوا بي الى المحكمة.

دخلتُ قاعة المحكمة مقيّد اليدين.
كانت عيوني لا ترى إلا النور المنكسر من نوافذ عالية.
كان الحضور منقسمًا بين من أرادني محترقًا... ومن أراد أن يسمع كلمتي الأخيرة.

وقف القاضي وسألني:

"هل تنكر الأديان كلها؟"

أجبت بصوتٍ خافت... لكنه حاد كحد السكين:

"أنا لا أنكر الإيمان...
لكنني أنكر أن يُستَخدم الإيمان قيدًا، وجلادًا، وحبل مشنقة.
أنكر أن يُقال لإنسانٍ يتألم: اصبر، الجنة قادمة.
أنكر أن يُسلب مني السؤال، ويُفرض عليّ الركوع باسم الخلاص."

رفع يده ليقاطعني، لكنني أكملت:

"أيها القاضي...
لو أن الله خلقني بعقل... ثم طلب مني أن لا أستخدمه،
إذًا، ليس هو من خلقني، بل من كسرني."

حُكم عليّ بالسجن خمس سنوات.
لكنني حين دخلت الزنزانة...
لم أكن خائفًا.

جلست على الأرض... وقلت بصوتٍ خافت:

“سجن الجسد، أهون من سجن الفكرة.
هم يحبسونني الآن، لكنّ أفكاري تتكاثر هناك، في الكتب، في العقول، في الأرواح المعذبة مثلي.”

وبين الجدران... كتبت من جديد.
أعدت كتابتي لفلسفتي...
ورحت أشرح كيف أن "الجوهر" هو الألم الأول، و"الماهية" هي ما نبنيه من رمادنا.

بعد خروجي من السجن

خرجت...
لا تصفيق. لا مستقبل. لا وطن يحتضن.
لكن وجدت شابًا ينتظرني على باب السجن، قال لي:

"كنت أقرأك طوال الوقت... وها أنا أدرس الآن الفلسفة، لأنك أثبتّ لي أن التفكير ليس جريمة."

ابتسمت...
وبكيت.
بكيت لأنني عرفت، بعد كل شيء...
أن الألم الذي عشته لم يكن عبثًا.

الكسندريّون – حركة الظلال وبذور المعنى

بعد خروجي من السجن، لم أعد كما كنت.
كنتُ هشًا كزجاجٍ نجا من الانفجار...
لكن بداخلي وميض لا ينطفئ.

لم أعد أصرخ... لم أعد أُجادل...
فقط بدأت أكتب.
أكتب بصمت، وأترك كل كلمة خلفي كأنها دمعة متجمدة.

في إحدى الشقق القديمة في ضواحي المدينة، دُعيت بصوتٍ مشفّر، بكلمة سر:
"الماهية تنتظر جوهرها."

دخلت الغرفة.
كنت أظنني سأجد واحدًا أو اثنين...
لكنني رأيت **تسعة وجوه**، تتراوح أعمارهم بين العشرين والأربعين.
كلّهم مثلي... خائفون، باحثون، محطّمون، لكن أحياء.

قال أحدهم، وهو شاب ذو نظرات محترقة:

"نحن نسمّي أنفسنا **الكسندريين.**
نقرأ كتابك كل ليلة كأنه صلاة...
ليس لأننا عبدناك، بل لأننا أخيرًا شعرنا أن أحدًا ينطق بما فينا."

كانوا يعملون في الظلام.

أحدهم أستاذ فيزياء يُدرّس المنطق خلف سطور قوانين نيوتن.

أخرى فنانة تُخفي الفلسفة في لوحاتٍ رمزية ترسمها بألوانٍ حزينة.

ثالث يعمل في مكتبة، ويخبئ نسخًا مطبوعة من "ثنائية الجوهر والماهية" في كتب التاريخ المنسية.

كانوا **أشباحًا فكرية** تمشي بين الناس، لا يُعرَفون بأسمائهم...
بل بندوبهم، وعيونهم التي لم تعد ترى الوجود كما هو.

طريقة عملهم

يجتمعون مرة في الشهر في أماكن متغيّرة.

يكتبون أوراقًا فلسفية موقعة فقط بـ"كسندر-حرف ورقم".

يُدخلون أفكار الجوهر والماهية في مناهجهم، مقالاتهم، قصائدهم، وحتى في محادثاتهم اليومية.

كانوا يزرعون الوعي كما تُزرع البذور في الأرض القاحلة.
بصمت، بإصرار، بوجع.

أول اشتعال

أحد الكسندريين، مبرمج شاب، قام بتصميم موقع بسيط على الشبكة المظلمة.
نشر فيه كتب الفلسفة، مقالات الكسندر، وملفات صوتية لأحاديث سرية.
أطلق عليه اسم:
"الجوهر المنسيّ."

في أول أسبوع... زاره 200 شخص.
في الأسبوع الثاني... 10 آلاف.
وفي الثالث، حُظر في عدّة دول.

لكن النار اشتعلت.

كانوا يكتبون

نحن لا نبحث عن الجنة، نبحث عن كرامة في هذا الجحيم.
الحرية تبدأ حين تكف عن ترديد ما لُقّنته.

المعنى لا يُمنح... يُنتزع من قلب العدم.

الماهية: أن تصنع نفسك من ركامك، لا من وصايا الموتى.

في إحدى الليالي، جاءني أحد الكسندريين وقال لي:

"هل تعلم ما أنت يا ألكسندر؟
أنت لم تُعطِنا الأجوبة...
لكنك جعلتنا لا نقبل أي جواب دون ألم."

سكتُّ...
ثم كتبت على جدار غرفتي:

"حين نموت، لن يسألنا أحد عن إيماننا...
بل سيسألنا: هل كنت صادقًا مع ألمك؟
وهل صنعت شيئًا من رمادك؟"

وهكذا بدأت النار تنتشر...
لا حريقًا من حطب، بل نارًا من **وعي**.

المناظرة الكبرى – حين تحدّث الوعي في الظل

المكان: قاعة سرّية في مدينة نائية، داخل بناء قديم مهجور، تم تحويله إلى ساحة فكرية مغلقة.
الزمان: منتصف الليل – حيث يسود الصمت، وتستعد الأرواح المتعبة لسماع الحقيقة، أيًا كانت.

طاولة دائرية، تتوسطها شمعة واحدة فقط.
جلس على اليمين أربعة من ممثلي السلطة العقائدية: شيخ شاب، متكلم تقليدي، عالم شريعة، ورجل رمادي العينين يُقال إنه "الصوت الرسمي للحق".
وعلى اليسار: الكسندريون – الكسندر أوريفان وثلاثة من تلامذته.

بدأت المناظرة.

السلطة العقائدية – السؤال الأول: برهان وجود الإله

الشيخ الشاب:

"نبدأ بالبساطة. كل شيء في هذا الكون يحتاج إلى صانع. لا يمكن أن تأتي هذه الدقة، هذه السماوات، هذا الإنسان المعقّد... من عدم. الكون له بداية، وكل بداية لها سبب. وهذا السبب هو الله."

ألكسندر أوريفان – بصوت هادئ ومكسور من الداخل:

"سأبدأ بالسؤال المؤلم: لماذا نفترض أن كل شيء يحتاج لصانع، ثم نُعفي الصانع من نفس السؤال؟
إذا كان لا شيء يمكن أن يوجد بلا سبب، فكيف قبلتم أن الله 'بلا سبب'؟
وإذا قلتم إن الله خارج الزمن، فلماذا لا نقبل أن الكون ذاته خارج الزمن

أو بلا بداية؟
نحن لا نتهرّب من الإيمان... نحن نتهرّب من **التناقض المنطقي** المغلف بالإجلال."

المتكلم العقائدي:

"لكنك تُنكر الغائية، والكون كلّه يصرخ بنظام**!** ليس من المعقول أن يكون كل هذا عبثًا**!**"

تلميذة الكسندريين – رافعة نظارتها:

"الغائية ليست في الكون... بل في عقولنا التي تبحث عن هدف.
النظام لا يعني غاية.
الجليد يتشكل بنظام هندسي دقيق... دون أن يكون لديه 'نية' لفعل ذلك."

السلطة العقائدية – السؤال الثاني: النبوة

عالم الشريعة:

"لا يمكن لعقل بشري بسيط، في صحراء قبل 1400 سنة، أن يأتينا بهذا التشريع وهذا الكلام، وهذه الأخلاق، وهذا النظم. إنها معجزة لا تفسَّر إلا بالوحي."

ألكسندر – يطأطئ رأسه قليلاً، ثم يرفع عينيه ببطء:

"المشكلة أننا نبني حجتنا كلها على نص... ثم نستخدم النص لإثبات صدقه.
هذا اسمه **الدور**.
هل تملكون دليلًا خارج الكتاب نفسه؟ خارج الرواية التي كتبها أتباع النبي، عن النبي؟
هل كتب عن محمد أحد من خارج دائرة الإسلام في زمانه؟
أين رسائله؟ توقيعه؟ بقايا بيته؟ وصفه من حضارة معادية أو محايدة؟
لو أن سقراط لم يُذكر إلا في كتاب كتبه تلاميذه، لكنا شككنا بوجوده أيضًا.

لكن سقراط ناقشه أعداؤه... بينما أنبياؤكم لا يعرفهم أحد... سوى كتبهم."

السلطة العقائدية – الدفاع العلمي

رجل الرماد – العالِم:

"القرآن سبق العلم. تكوين الجنين، نشأة الكون، زوجية الكائنات... كلها ذكرت قبل اكتشافها."

تلميذ الكسندريين – وهو طبيب وعالم أحياء:

"بل دعني أقول الحقيقة الكاملة...
كسونا العظام لحما – والعلم يقول إن اللحم سابق للعظام.
الأرض بساطًا – بينما نعلم أنها كروية، والمئات من الآيات تصور الأرض كأنها سقف وأرض مسطحة.
المعجزة ليست في الآية، بل في من يحاول تأويلها إلى أن توافق العلم، ثم يصرخ: ها هو الإعجاز!"

ألكسندر:

"المعجزة التي لم يرها أحد... لا تُعتبر دليلاً، بل حكاية.
انشقاق القمر؟ أين حضارات الهند والصين؟ أين سجلات الفلك؟
لم يرها أحد إلا من صدقوا أنها حدثت...
فهل نصدق حادثًا لأن من رواه آمن به؟"

اللحظة الأخيرة – انهيار الصمت

بدأ وجوه السلطة الدينية تتغير...
واحد منهم خفض رأسه... آخر عبس... والثالث بدأ يتمتم بغضب.

الشيخ الشاب – غاضباً:

"أنتم لا تريدون الحق... أنتم تريدون الحيرة!"

ألكسندر – بصوت متهدّج، حزين، كأنه يدفن قلبه وهو يتكلم:

"بل نحن نريد وجع الحقيقة... لا مسكنات النجاة.
لسنا ضد الإيمان...
نحن ضد أن يُستخدم الإيمان كمخدر، كعصا، كقيد، كحبل مشنقة.
أن يُقال للفقير: اصبر، لك الجنة...
وللثائر: اخرس، الدين يُحرم الفتنة.
وللمفكر: كفّ، فقد تجاوزت ‘حد السؤال’."

صمتٌ ثقيل خيّم على القاعة...
انكسر فقط بصوت رجل رمادي من طرف السلطة، حين قال:

"إن أفكاركم لو تُركت، لهدمت الجدار كله."

ألكسندر:

"بل أفكارنا، فقط أزالت الطلاء... وكشفت الشقوق."

ثم تكمل المناظرة.

الشيخ الشاب (متسلطاً):
"القرآن كلام الله المنزل، معجز في كل حرف، لا يمكن أن يأتي من بشر. يحتوي على علم لا يُدرك إلا بالوحي.
كيف تنكرونه وأنتم لا تستطيعون تفسير آياته؟"

ألكسندر (بصوت يملؤه الألم والشك):
"آياتٌ تُكتب لتكون دليل، لكنها أيضاً مفتاح للسؤال.
أنا لا أنكر أن القرآن كتب جميل، بل هو من أروع النصوص التي قرأتها.
لكن هل الكلمات تعني الحقيقة؟
كثيرٌ من آياته تتناقض مع ما نراه بعيوننا في الطبيعة والعلم."

تلميذة الكسندريين (تتنهد بحزن):
"مثلاً، قوله تعالى:
«ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين»،
والعلوم الحديثة تقول إن الإنسان يتكون من خلايا جنسية، ليست مجرد نطفة تتجمد في مكان ثابت.

ثم قوله عن مراحل الجنين:
«*ثم كسونا العظام لحماً*»، وهذا خطأ علمي، لأن العظام تتشكل بعد اللحم وليس قبله."

الشيخ الشاب (مستاءً):
"هذا تفسيركم المتعجل، قد تُفهم الآيات رمزياً."

ألكسندر (بحزن عميق):
"ولكن الرمزية ليست حلاً دائماً، فلو كانت نصوص كهذه مجرد رموز، فكيف نثق بالنصوص الأخرى؟
وكيف نعرف متى يجب أن نأخذها حرفياً ومتى يجب أن نأخذها رمزية؟
إنه يخلق عالمًا من الضباب وعدم اليقين، حيث لا يستقر العقل."

رجل السلطة (متهكّم):
"وما بديلكم؟ كتبكم هي أيضاً من صنع الإنسان، لماذا هي صحيحة والقرآن خطأ؟"

ألكسندر (بصوت خافت لكنه قوي):
"لأننا لا نطالب بإيمان أعمى، بل نطالب بالبحث والشك، بالتجربة والبرهان.
الكتب التي ندرسها تخضع للنقد، للنقاش، وللعلم المستمر.
أما القرآن – فهو مغلق على نفسه،
الشك فيه يُعاقب، والنقد ممنوع، والأسئلة تُقمع."

تلميذة الكسندريين (بصوت مرتجف):
"هل تعلمون؟ أن معجزات تدعي أنها خارقة... مثل انشقاق القمر،
لو حدثت فعلاً، كيف لم تسجلها حضارات أخرى تعيش في نفس الزمان؟
كيف لم يظهر أثر علمي أو تاريخي؟"

الشيخ الشاب (يغلق عينيه بغضب):
"ذلك من الغيبيات التي لا يفهمها إلا المؤمن."

ألكسندر (يصرخ كأنه يطلق آخر أنفاسه):
"ولكنني لا أريد غيبية تؤدي إلى صمت العقل،

أريد حقاً أن أفهم، أن أعيش دون كذبة، أن أواجه الحياة كما هي،
بدون أن تُغلّف حقيقتي بقناع الأوهام."

صمتٌ حزين يخيم على القاعة، والهيبة تتبادل النظرات بين الحاضرين.

ألكسندر (بصوت ثقيل، يحاول أن يكون هادئًا رغم الألم):
"هناك آيات كثيرة تتحدث عن عالم واحد، متناسق، لا تناقض فيه، لكن عندما نقرأها بعين العقل، نجد التباينات التي لا تُحل.
مثلاً، آية تقول:
«الله نور السماوات والأرض» (النور:35)
وفي آيات أخرى:
«لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» (العنكبوت: 46)
كيف يكون الله نورًا محسوسًا أو معنويًا، ثم لا يُدركه البصر؟ هل هو موجود لكنه غير موجود؟
هذا التناقض يزرع في القلب شكًا لا يزول."

رجل السلطة (مستاء):
"هذه مسائل غيبية، لا يفهمها إلا من يؤمن."

ألكسندر (بحزن عميق):
"لكنها ليست غيبية فقط، بل تناقضات واضحة.
وهناك آية تقول:
«الله يغفر الذنوب جميعًا» (الزمر:53)
وأخرى تقول:
«من يشرك بالله فقد ضل ضلالًا بعيدًا» (النساء:116)
هل يُغفر الشرك أم لا؟
إذا كان الله يغفر كل شيء، فلماذا هذه العقوبة الأبدية للشرك؟
هل الرحمة متناقضة مع العدل؟ أم أن كلا المفهومين متغيران حسب الموقف؟"

تلميذ الكسندريين (يضيف بنبرة متعبة):
"ثم ما نراه عن قصة آدم وحواء، التي تكرر في القرآن أنها خُلقا من طين وأنهما أُخرا من الجنة بسبب العصيان.

ولكن كيف نتصور أن البشر كلهم يولدون بهذه الذنوب الأصلية؟ هل هذا عادل؟
وهل يعقل أن الله يخلق البشر ليعاقبهم على خطأ أولين؟
وهذا يصطدم مع العقل والمنطق، ومع حس العدالة والرحمة."

عالم الشريعة (ينظر بغضب ولكنه يحاول أن يظل هادئًا):
"كل ذلك من الحكمة الإلهية، لا تُدركها العقول المحدودة."

ألكسندر (يغمض عينيه كأن الألم يكاد يقتله):
"ولكن... هل من العدل أن تُفرض عقوبة أبدية بسبب خطأ لم نختره؟
هل هذا إله رحيم؟ أم صورة بشرية وضعها الإنسان ليُبرر معاناته؟"

ألكسندر يواصل، ينظر في أعين الحضور وكأنه يختزل في كلماته سنوات الألم والبحث:
"القرآن يتحدث عن السماوات والأرض في ستة أيام، ثم يقول في مكان آخر إن 'يوم عند ربك كألف سنة مما تعدون'.
كيف نوفق بين الزمن الإلهي والزمن البشري؟ هل الكون عمره ستة أيام فقط؟ أم ملايين السنين؟
كل هذا الغموض والاختلاف... يترك الإنسان في دوامة بلا قرار."

تلميذة الكسندريين (تضيف بصوت مكسور):
"ثم لماذا يعاقب الإنسان بسبب أفعال فردية، وأحياناً تعمم العقوبة على جماعات بأكملها، دون تمييز؟
هل هذا عدل؟ أم مجرد أسطورة قاسية؟"

السلطة العقائدية تبدأ تفقد رباطة جأشها، بينما يزداد صوت الكسندريين قوة وحزنًا، ولكن بلا عدوانية، فقط بحثاً عن الحقيقة وسط الظلام.

ألكسندر (بنبرة متعبة، وكأنه يحمل ثقل ألف سؤال):
"لننظر إلى قصص الأنبياء... آيات كثيرة تروي حكايات متشابهة وفيها اختلافات لا يمكن تجاهلها.
مثلاً قصة موسى وفرعون، وفي بعض السور يُذكر أن الله أغرق فرعون وأتباعه في البحر، وفي سور أخرى يُقال أن فرعون كان له عذاب مختلف.
كيف نفهم هذه التناقضات؟ هل تُروى القصة نفسها بأكثر من طريقة؟"

تلميذة الكسندريين (بحزن عميق):
"وفي قصة يوسف، في سورة يوسف، تُروى القصة بتفاصيل دقيقة، ولكن في سور أخرى مثل البقرة، هناك تفاصيل مختلفة عن حياة يوسف وعائلته.
كيف لكتاب منزَّل أن يحتوي على سرديات متناقضة في أحداث مفصلية؟"

رجل السلطة (يحاول الدفاع بلا اقتناع):
"هذه القصص تروى عبر أزمان مختلفة، وبأساليب تناسب مخاطبيها، والله حكيم يختار ما يناسب كل زمان."

ألكسندر (بصوت يكاد ينكسر من الوجع):
"لكن هذا يخلق شكًا أعمق، إذ لا نعرف ما الحقيقة، وما هو مجرد تزيين أو رمزية.
كيف يمكن أن نؤمن بدين يتركنا في حيرة من أمره، ويضع قصص الأنبياء تحت مجهر التناقض؟"

ألكسندر يستجمع أنفاسه ويواصل:
"أما خلق السماوات والأرض... ففي سورة الفجر يقول:
«خلقت السماوات والأرض في ستة أيام»
لكن في سورة فصلت يقول:
«خلق السماوات والأرض في ثماني أيام»
ثم آيات أخرى تشير إلى ترتيب مختلف في الخلق،
هذا الاختلاف في عدد الأيام وكيفية الخلق يجعل النص متناقضًا،
ويفتح باب الأسئلة: هل هو قصص مجازية أم حرفية؟
وكيف لنا أن نعرف متى نأخذ النص حرفيًا ومتى مجازيًا؟"

تلميذة الكسندريين (بصوت خافت لكن حاد):
"كل هذا الغموض يؤلمنا، يجعلنا نتساءل: هل نحن فعلاً أمام كتاب إلهي كامل، أم هو مخزون من قصص وأساطير متراكمة؟
كيف لنا أن نثق ونحن نرى هذه التناقضات أمام أعيننا؟"

رجل السلطة (بحزم ولكنه خائف من الأجوبة):
"الإيمان يتطلب الثقة، والشك هو بداية الضلال."

ألكسندر (بنبرة مكسورة لكن حازمة):
"ولكنني لا أريد أن أعيش في ضلال لا أختاره،
أريد أن أكون صادقًا مع نفسي،
حتى لو كان هذا يعني أن أتخلى عن الراحة الزائفة،
حتى لو كان هذا يعني مواجهة الألم والفراغ،
لكنني أريد الحقيقة."

يسود صمت ثقيل في القاعة، كأن الهواء نفسه يثقل بالأفكار والأسئلة التي لا تجد جوابًا.

ألكسندر (بصوت يكاد يختنق من ثقل الكلمات):
"هناك آيات كثيرة تُظهر تناقضات داخل النص نفسه، كأن كاتبها نسي ما كتب قبلها، أو تغيّرت أفكاره فجأة.
مثلاً، في سورة النساء:
«لا يرث الذكر مثل حظ الأنثيين»
وفي مكان آخر من القرآن، تتحدث آيات عن عدل الله في الميراث...
كيف يجتمع العدل مع هذا التفاوت؟ هل هذا عدل؟"

تلميذة الكسندريين (بمرارة):
"وكيف نفسر في سورة البقرة قوله تعالى:
«وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء»
ثم في مكان آخر، يأمر المؤمنين باتباع أوامر الله بلا سؤال.
كيف يجمع النص بين النقد والتهديد وبين الوجوب؟
كأن الكاتب يعيد التفكير في كلامه أو يتناقض مع نفسه."

رجل السلطة (ينظر بغضب واضح):
"لا تتهموا النص بالنسيان أو الخطأ، فهذه تفسيرات بشرية ناقصة."

ألكسندر (بصوت مكسور لكنه صارم):
"لكن الكلمات تتحدث بوضوح... تناقضات في الأوامر، في القصص، وفي التشريعات، تخلق لدى العقل إحساسًا بأن النص لم يُحكم عليه برؤية موحدة، بل كُتب على مراحل، من أناس مختلفين، بآراء متضاربة."

تلميذة الكسندريين (تبكي بهدوء):
"وكم من آية تتحدث عن العنف والعقاب، ثم أخرى عن الرحمة والغفران،
لكن كيف يتوافق هذا مع عقل يبحث عن الاستقرار؟"

ألكسندر (بصوت متهدج من الوجع):
"هل نُدين أنفسنا بأن نؤمن بكل شيء دون سؤال، دون تحليل؟
هل النص الذي يُفترض أنه كلام الله خضع للنسخ والتغيير، وكأن الكاتب نسى نفسه؟"

السلطة الدينية تصمت، كأنها تقتنع بالألم في كلام الكسندريين، لكنهم يخشون أن يعترفوا به، فتبدأ الهمسات تتصاعد بين الحضور.

ألكسندر (بنبرة متقطعة، يتحدث وكأنه يستعيد جروح الماضي):
"لننظر إلى آيات كثيرة في القرآن، تبيّن كيف كان محمد ليس فقط نبياً روحياً، بل زعيماً يسعى إلى السلطة...
في سورة الأنفال، الآية 41:
«واعلموا أنما غنتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل»
أي أن الغنائم تُوزع وفق سلطة النبي، التي تعزز مركزه المادي والسياسي.
وآيات أخرى مثل:
«وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه» (المائدة: 48)
الآية تُعطي محمد سلطة الحكم على الأديان السابقة، وتعيين ما هو الحق، وتغييره حسب إرادته."

تلميذة الكسندريين (بصوت يتقطع من الحزن):
"ولم يكتفِ محمد بالسلطة الروحية، بل كان يتعامل بقسوة مع المعارضين،
كان يقتل ويعذب من يشكك في نبوته،
مثل أبي لهب، الذي ذُكر في سورة المسد، والذين خانوه مثل عبدالله بن أبيّ بن سلول، الذي أشار إليه القرآن بالمرجفين،
وكذلك الصحابي معاذ بن جبل، الذي طالما ذكر في الأحاديث، لكن كان له مواقف معارضة أحيانًا."

رجل السلطة (ينفي بعصبية):
"هذا ليس سوى محاربة للباطل، واجب على كل نبي."

ألكسندر (بصوت مكسور يحمل مرارة الحقيقة):
"لكن هل كان ذلك نقاشًا عقلانيًا؟
هل يحق للنبي، الذي يدعي كونه رسول الله، أن يقتل ويعاقب من يخالفه؟
كيف يتوافق هذا مع رسالة سماوية تدعو للحوار والتسامح؟"

تلميذة الكسندريين (بحزن عميق):
"هؤلاء الذين تحدوا النبي، لم يكونوا مجرمين، بل مفكرين يبحثون عن الحقيقة،
لكنهم دفعوا ثمن هذه الشجاعة حياتهم،
وهذا يُظهر أن السلطة كانت أغلى عند محمد من الحقيقة."

ألكسندر (يردد بصوتٍ كأنه يصرخ في فراغ):
"أليس من المفترض أن يكون النبي مثالاً للرحمة والعقل؟
ولكن ما رأيناه هو صراع على السلطة،
صراع يُخفيه قناع الوحي."

تصمت القاعة، ويعلو صدى الكلمات في أذهان الجميع، فتبدأ السلطة الدينية تشعر بالخطر الحقيقي.

في اللحظة التي ساد فيها الصمت بعد المناظرة الحادة، تقدمت السلطة الدينية بأسئلتها الوجودية، محاولةً استعادة المبادرة:

رجل الدين (بصوت جاد):
"ما هي الحقيقة التي تمتلكها؟ ما هو الجوهر؟ وما هي الماهية؟ كيف تفسر الوجود الإنساني؟ وأين يذهب الإنسان بعد الموت؟"

ألكسندر (بهدوء عميق):
"دعوني أجيبكم من خلال نظرية 'ثنائية الجوهر والماهية' التي طورتها، والتي تسعى لفهم الإنسان والوجود بطريقة عقلانية وعميقة."

الجوهر والماهية: فهم الإنسان

في هذه النظرية، يُنظر إلى الإنسان ككائن مركب من:

الجوهر: الكيان الثابت، الوعي الخالص، الذات العميقة التي لا تتغير.

الماهية: الصفات المتغيرة، التجارب، المشاعر، والأفكار التي تتشكل عبر الزمن.

هذا التمييز يُمكّننا من فهم الإنسان ككائن يتجاوز الجسد والعقل، يحمل في داخله جوهرًا خالدًا يتفاعل مع ماهية متغيرة.

رجل الدين (بتحدٍ):
"أين كان الإنسان قبل أن يُولد؟ وأين يذهب بعد الموت؟"

ألكسندر:
"قبل الولادة، يكون الجوهر في حالة من السكون، غير مرتبط بالزمان أو المكان. وعند الولادة، يتحد الجوهر بالماهية، فيبدأ الإنسان رحلته في الحياة.

بعد الموت، تنفصل الماهية عن الجوهر، وتعود الأخيرة إلى حالتها الأصلية، حرة من قيود الجسد والتجارب.

هذه الرؤية تُحرر الإنسان من الخوف من العذاب الأبدي، وتُعيد له كرامته ككائن يبحث عن الحقيقة، لا كعبد مهدد بالنار."

رجل الدين:
"كيف تفسر الوجود الإنساني؟"

ألكسندر:
"الوجود الإنساني هو جسر بين الجوهر والماهية، بين الثابت والمتغير.

المستوى الأول: الوجود الجسدي، حيث يتفاعل الإنسان مع العالم المادي.

المستوى الثاني: الوجود النفسي، حيث تتشكل المشاعر والأفكار.

المستوى الثالث: الوجود الروحي، حيث يتصل الجوهر بالمطلق، بالحقيقة العليا.

من خلال هذه المستويات، يسعى الإنسان لتحقيق التوازن بين جوهره وماهيته، بين ذاته والعالم من حوله."

ألكسندر (بصوت حازم):
"هذه الحقيقة تُقدم بديلاً عن العقائد التي تُخيف الإنسان بالعذاب، وتُقيده بالطقوس.

إنها تُعيد للإنسان حريته في التفكير، وتُشجعه على البحث عن الحقيقة بعقله وقلبه، لا بالخوف والتهديد.

إنها تُكرم الإنسان ككائن واعٍ، لا كعبد خائف."

رجل الدين (بصوت منخفض):
"لكن... ماذا عن الإيمان؟"

ألكسندر:
"الإيمان الحقيقي لا يقوم على الخوف، بل على الفهم.

حين يفهم الإنسان جوهره وماهيته، يُدرك مكانته في الكون، ويعيش حياةً مليئة بالمعنى والحرية."

في هذه اللحظة، ساد الصمت، وشعر الجميع بثقل الكلمات.

لقد زُرعت بذرة الشك في قلوب البعض، وبذرة الأمل في قلوب آخرين.

وهكذا، بدأت رحلة جديدة نحو الحقيقة، بعيدًا عن القيود والخوف

في اللحظة التي أدركت فيها السلطة الدينية أن حججها قد تهاوت أمام قوة المنطق والعقل، انفجر الغضب في وجوههم، كاشفًا عن الوجه الحقيقي للسلطة التي تتخفى خلف ستار الدين..

رجل الدين الأكبر (بصوت مرتجف من الغضب):
"كفى! لقد تجاوزتم حدودكم! أنتم زنادقة، تنكرون ما هو معلوم من الدين بالضرورة!"

أحد رجال الدين (بصوت حاد):
"سوف تُقطع ألسنتكم، وتُحرق كتبكم، وتُمحى آثاركم من الوجود! لن نسمح لكم بتلويث عقول المؤمنين!"

رجل دين آخر (بتهديد واضح):
"من يتبعكم، فمصيره جهنم وبئس المصير! سنطاردكم في كل مكان، ولن تجدوا مأوى!"

وسط هذا الغضب العارم، تمكن الكسندريون من الفرار، مستفيدين من الفوضى التي عمت المكان.

لكن الحضور، الذين كانوا شهودًا على المناظرة، لم يعودوا كما كانوا.

أحد الحضور (بصوت مرتفع):
"لماذا كل هذا الغضب؟ أليس من المفترض أن يكون الدين رحمة؟"

حضور آخر (بغضب):
"أنتم تخافون من الحقيقة! تستخدمون الدين كأداة للسيطرة، وليس للهداية!"

امرأة من الحضور (بصوت حزين):
"لقد عشت حياتي في خوف من العذاب، لكن اليوم أدركت أن هذا الخوف كان وسيلة لتحكّمكم بنا."

تلك اللحظة كانت نقطة تحول.

بدأ الناس يتساءلون، يشككون، ويبحثون عن الحقيقة بأنفسهم.

أدركوا أن الدين، كما قُدم لهم، كان وسيلة للسيطرة، وأن الخوف من العذاب كان أداة لإخضاعهم.

وهكذا، بدأت رحلة جديدة نحو الحرية والفهم الحقيقي للوجود.

في أعقاب المناظرة الكبرى التي هزّت أركان السلطة الدينية، بدأت شرارة الفلسفة الكسندرية تتقد في قلوب الناس، معلنةً بداية عصرٍ جديد من الوعي والتحرر الفكري.

في الليلة التالية للمناظرة الكبرى، كانت المدينة في صمت ثقيل، كأنها تتهيأ لانفجار الحقيقة في وجه كل الكذب المقدس. في الظلال، بدأ الكسندريون يتسللون... لا يحملون سيوفًا، بل كتبًا. لا يصيحون بالشعارات، بل يهمسون بالفكر في أذن العقول التي خنقها الخوف.

حشود تتجمّع في الساحات السرية

تحت جسرٍ عتيق قرب المدينة القديمة، اجتمع عشرات من الكسندريين حول ألكسندر، وجهه منهك لكنه مشعّ، كمن ذاق الخلاص وسط العاصفة.

ألكسندر (بصوت متعب لكنه ثابت):
"ما واجهناه ليس إلا البداية... أرادونا عبيدًا لأساطيرهم، لكننا الآن نكتب بأنفسنا قصة الإنسان الحر، الذي لا يسجد إلا للحقيقة."

تلميذة تبكي بصمت:
"أستاذ، لماذا لا يفهمون؟ لماذا يكرهوننا لمجرد أننا سألنا؟"

ألكسندر (ينظر نحو السماء):
"لأن السؤال كالشمس... حين يُشرِق، يكشف كل ما أرادوا إخفاءه."

في قصر السلطة الدينية، ضجت الغرف بالذعر. حبر التقارير يسيل، الأوامر تُكتب بارتجاف، والعيون تبحث عن مخرج.

شيخ متجهم:
"هؤلاء لا يهدأون، إنهم نار تشتعل في كل عقل يمسّه المنطق... احرقوا كتبهم، اعتقلوا رموزهم!"

شيخ آخر (بصوت مرتعش):
"لكنّ الناس يستمعون إليهم... لقد بدأوا يتشككون بنا... بدأوا يروننا عراة من المعنى."

الكبير بينهم (يضرب الطاولة):
"إذًا فلنرهم جحيمنا... لتُعلن الفتوى، ليكن دم الكسندري مباحًا."

يهاجم جنود الطغيان تجمعًا صغيرًا للكسندريين، كتب تتساقط، ودموع تنسكب، لكنّ أحدهم يصرخ:

شاب يحمل دفترًا ممزقًا:
"اقتلوني**!** لكنّ الكلمات التي كتبناها... أصبحت في صدور الآلاف**!**"

ويهرب الكسندريون في ظلال الأزقة، حاملين معهم فتيل الفكر النقي.

يُطبع الكتيب الأول للفلسفة الكسندرية في مطبعة سرّية بدولة بعيدة. على غلافه صورة مجردة: يد تخرج من الظلام، تحمل نارًا صغيرة.

عنوانه:
"من التيه إلى الجوهر"

أحد المترجمين (ينظر إلى الغلاف):
"هذه ليست مجرد فلسفة... هذه شظية من روح إنسان كان يُذبح بصمت، فنهض صارخًا."

في كل مكان، تنمو خلايا الكسندريين:

في طوكيو، شابة يابانية تقرأ "ثنائية الجوهر والماهية" وتقول:
"هذا ما كنت أبحث عنه بين بوذا والعقل."

في برلين، فيلسوف عجوز يهمس لطالب شاب:
"أظن أن ألكسندر أعاد ما سلبته القرون منا."

في بيروت، رسّام يرسم وجه ألكسندر على جدار مهدّم، يكتب تحته:
"الحرية ليست كفرًا... إنها العودة الأولى للإنسان إلى ذاته."

الفصل الثاني

مواجهة مع العالم

لم يكن الإعلان العالمي عن فلسفة الكسندر ضوءًا خافتًا يُشعل في زاوية معتمة، بل كان انفجارًا فكريًا اخترق الجدران الصلبة لكل نظامٍ دينيّ وسلطوي. وحين نشرت "الوصايا الكسندرية" على الملأ، حملت كل سطرٍ فيها قنبلةً من المعنى، ومطرقةً تهشم أصنام الفكر المستورد.

إعلان عالمي – الجزء الموسّع

"أنا ألكسندر أوريفان.
ولدتُ في الظل، حيث لا يرى الضوء إلا من تجرّع العتمة.
صنعتُ من الجرح مرآة، ومن الخوف سُلَّمًا، ومن الشك طريقًا إلى الأمل.
كتبتُ فلسفتي لا لأهدمكم... بل لأعيدكم لأنفسكم.
نحن لا ندعو للإلحاد ولا نعبد العقل، بل نحاول أن نُعيد للإنسان حريته في أن يختار، أن يسأل، أن يفكر... دون أن يُرمى في الجحيم."

هكذا كُتبت الكلمات الأولى على راية الفكر الكسندري، ونُشرت في بيان مترجم إلى أكثر من 30 لغة.
ظهرت على جدران إسمنتية قديمة في برلين، مطبوعة على ورق أسود وحبر أبيض، كما لو كانت صرخة الأمل الأخيرة لأرواح سُحقت تحت السلطة.

في شوارع أمريكا اللاتينية، وزعت منشورات صغيرة كأنها بذور تمرّدت على أرضٍ عقيمة.
في شرق آسيا، نُقشت الرموز الكسندرية على جدران تحت الأنفاق، بلغة رمزية لا تُقرأ إلا لمن عرف طريق الفكر الحر.
وفي الشرق الأوسط... انتشرت كالنار في قلوب أضناها الصمت، حتى لو لم يكن بوسعهم النطق.

ردود الفعل حول العالم:

- **الكنيسة الغربية** أصدرت بيانات لاهوتية مطوّلة، تحذّر فيها من "الفكر الكسندري الذي يحلّ الإنسان محل الله".

لكنها لم تستطع أن تنكر أن أبناءها بدأوا يقرأون... ويسألون.

- **الأنظمة الإسلامية** أعلنت الحرب الفكرية على الكسندريين.
  فتاوى، تهديدات، واغتيالات...
  "من قرأ فلسفة ألكسندر فقد كفر"، قالها شيخ شهير في الخليج، ومن خلفه الآلاف يهلّلون.

- **الدول القمعية** فرضت رقابة رقمية غير مسبوقة، حجبت المواقع، واعتقلت المترجمين.
  لكن الفكرة كانت أسرع من الفلاتر.
  وصلت إلى العقول عبر قصيدة، عبر رسمة، عبر سؤال في وجه معلمٍ متعب.

في قلب العاصفة:

دعيتُ — أنا الكسندر — إلى مناظرة فكرية عالمية، في جامعة زيورخ.
قاعة مكتظة، أنفاس مشدودة، عدسات تنقل كل ارتعاشة.

المُحاور الديني:

"كيف يمكن أن تثق بالأخلاق دون مرجعية عليا؟ من أين تنبع القيمة إذا لم تكن من إله؟"

أجبتُ بهدوء، لكنه هدوء من حفروا الخنادق بأنفسهم:

"من الألم، أيها السيد. من الشعور بألم الآخر.
الأخلاق التي تُخلق تحت التهديد لا تُنقذ الأرواح، بل تُبرر التعذيب.
الأخلاق التي تُولد من الحب وحده، لا من النار، هي وحدها التي يمكن أن تُدعى إنسانية."

المنظّر السياسي قال:

"هل تدرك أن أفكارك تهدد بنية الدول والمجتمعات؟"

ابتسمتُ، وكانت الندبة على وجهي مثل علامة سؤال قديمة:

"نحن لا نهدد المجتمعات... بل الأكاذيب التي قامت عليها.
مجتمع لا يتحمّل سؤالًا صغيرًا، هو مجتمع خائف من نفسه، لا من أفكاري."

العالم يشتعل... والعقول تشتعل أكثر:

- في **القاهرة**، أُلقي تلميذ كسندري من فوق بناية.
لم يمت جسده فقط، بل ماتت معه براءة الحالمين الذين ظنوا أن السؤال لا يقتل.

- في **طهران**، حُكم على مجموعة بالموت لنشر كتاب *الجوهر والماهية*.
لم يتراجعوا.
أحدهم قال للقاضي: *"قد تُعدم جسدي، لكنك لن تُعدم الصوت الذي أيقظته في الداخل."*

- في **باريس**، معرض فني حمل عنوان:
"الله الذي صنعه الإنسان"
لوحات تصور كيف خلقت البشرية آلهتها من خوفها، ثم عبدت هذا الخوف كأنه إله.

ورغم القمع...

لم تتراجع الحركة، بل تسارعت.
كل محاولة قمع ولّدت نقاشًا.
كل تهمة خلقت كتابًا جديدًا.
كل صرخة ألم تحوّلت إلى نغمة وعي، تصدح في فضاءٍ لا تستطيع السلطات الوصول إليه.

الناس كانوا يخرجون من الدين، لا لأننا طلبنا ذلك، بل لأنهم رأوا الحقيقة في المرايا التي صنعناها من جراحنا.
رأوا أن الإنسان لا يحتاج إلى قيدٍ ليكون صالحًا، بل إلى وعي.

وهكذا، كانت فلسفة *الجوهر والماهية* لا تُرغم أحدًا على اعتناقها.
بل تهمس في داخله:
"تذكّر من أنت، من قبل أن يُخبرك أحدٌ من يجب أن تكون."

في إحدى الهضاب، وقف ألكسندر وأتباعه، خلفهم شمس شتوية، وأمامهم خريطة ممزقة للعالم، يُعيدون رسمها بأفكارهم.

ألكسندر (يهمس): "ليست الحرب ضد الله... بل ضد صورته المشوهة التي زرعوها في قلوبنا."

أحد التلاميذ: "هل سننتصر؟"

ألكسندر: "نحن انتصرنا منذ بدأنا نسأل."

لم تمر ساعات على إعلان الكسندريين لفلسفة الجوهر والماهية حتى بدأت الأرض ترتجف، لا من زلازل الطبيعة، بل من زلازل العقول. شعوب بأكملها، في ظلال القهر والطغيان، أيقظتها كلمات الكسندر. لم تكن كلمات فحسب، بل نداءً استمر لعصور ينتظر من يضعه على الورق، نداءً كُتب بالدموع والحريق.

اندلاع الشرارة

في الأزقة المنسية من مدن الشرق، حيث تتقاطع أصوات الأذان مع أنين الجوع، اجتمع مجموعة من الشباب ليشكلوا أول خلية مقاومة فكرية. لم تكن المقاومة هذه المرة ببندقية، بل بكتاب. حملوا فلسفة الكسندر وبدأوا يوزعونها خفية بين صفحات كتب المدرسة، بين أوراق الصحف، وعلى جدران الأزقة. كانوا يُضطهدون، يُعتقلون، يُجلدون، لكنهم يعودون. كأن قلوبهم وُجدت لتُشعل.

صرخة المرأة في الحجاب الممزق

في إحدى مدن الجنوب، وقفت فتاة محجبة على منصة متهالكة، وصرخت بأعلى صوتها: "أنا لست عبدة. لا أريد جنة تُمنح لي لأني سكتُّ، بل حياة أعيشها لأنني صرخت**!**". كان الحشد غاضبًا، الرجال يصرخون، الشيوخ يكفّرون، لكنها لم تتراجع. تم اعتقالها، لكنها تحوّلت إلى أيقونة الثورة.

المعابد تترنح

في دول كانت تحكمها سلطة دينية مطلقة، بدأت الكراسي تهتز. خطباء المساجد، قساوسة الكنائس، كهنة المعابد... كلهم صاروا يهاجمون الكسندريين في خطبهم. لكن

في كل مرة كانوا يردّون، لم يجدوا إلا الصدى. الحقيقة بدأت تلامس الناس، تهزّ يقينهم الموروث، وتفتح جراحًا كانت مطموسة باسم "الطاعة".

الجامعات تتحول إلى ساحة فكر

في قلب أوروبا، وأمريكا اللاتينية، وجنوب آسيا، بدأ طلاب الجامعات ينظمون مؤتمرات سرّية لقراءة فلسفة الكسندر. لم تعد نظرية الجوهر والماهية مجرد نص، بل مرآة يرى فيها كل إنسان نفسه دون أقنعة. أساتذة الفلسفة أُحرجوا، المؤرخون انقسموا، ورجال الدين أصيبوا بالذهول.

صعود صوت الضمير العالمي

بدأت منظمات حقوق الإنسان تتساءل عن مصير الكسندريين المعتقلين. تقارير تُرفع، صحف عالمية تنشر، وثائق تسرب، والحقيقة تظهر: كان كل من تساءل عن الدين أو شكك في وجود إله يُجلد أو يُسجن أو يُقتل. بدأت صورة الدين في أعين العالم تتشقق، ومعها تهاوت رموز زائفة.

الكسندر وتلامذته: الصوت المستمر

ورغم أن الكسندر أصبح مطلوبًا دوليًا، إلا أن صوته لم يخفت. كل مرة كانوا يسكتونه فيها، كان تلميذ آخر يكتب، يُحاضر، يصيح، يصرخ. كانت رسالتهم واحدة:

"نحن لا نعبد أحدًا، لا نخاف أحدًا، لا ننتظر جنةً، لا نخشَ نارًا. نحن أبناء الوعي، وسنُولد من جديد كلما أحرقونا."

وها هي البذور بدأت تُزهر في أرضٍ ملأها القهر، ها هي الشعوب تسأل: من نكون؟ من نحن؟ لماذا نعيش؟ ولماذا نُجلد إن فكرنا؟

في إحدى الدول القمعية حيث كانت العقول تُكبّل قبل الأيدي، وحيث تُراقب الكلمات كما تُراقب الحدود، انطلقت الشرارة.

مدينة الظلال، هكذا كانت تُلقّب العاصمة، مدينة كثيفة الحواجز، يكسوها الصمت كسقف من الحديد، وتنتشر في زواياها عيون السلطة كما تنتشر العناكب في الجدران

المتشققة. لم يكن يُسمح فيها أن يُفكر الإنسان خارج المسموح، أو أن يسأل خارج الحدود المرسومة بدقة من السلطة الدينية والسياسية المتحالفة منذ قرون.

لكن في إحدى الجامعات القديمة، خرج شاب يُدعى **يوسف الحالم**، تلميذ من تلامذتي، وقد أمضى لياليه تحت الضوء الخافت يقرأ *كتاب الجوهر والماهية*، حتى باتت مفاهيمه تسري في دمه.

وفي ساحة الجامعة، وسط أعين الأمن والمخبرين، وقف يوسف وصاح بأعلى صوته:

"لسنا عبيدًا لخطابات خُلقت قبل أن نولد، لسنا امتدادًا لخوف آبائنا**!** نحن الجوهر، ونحن الماهية، ونحن صانعو الجسر**!**"

ثم رفع أول نسخة مطبوعة من **كتاب الجوهر والماهية،** مغلّفة بجلد أسود داكن، ونقش عليه بشموخ:
"الفكر يحرر... الخوف يُعبد."

وتجمّع الطلاب، ثم الأساتذة، ثم المارة، وبدأوا يهتفون:
"نحن الجوهر والماهية... نحن الإنسان الحقيقي!"

بدأت **ثورة الظلال**.

ردّ القيادات السياسية والدينية

لم تتأخر السلطة. بدأ القمع فورًا:

أُغلقت الجامعات و أُحرقت نسخ الكتاب في الساحات.

أُعلن يوسف "مرتدًا فكريًا" ومحكومًا بالإعدام علنًا.

خرج أحد كبار رجال الدين بوجهٍ مكفهر في التلفاز قائلاً:"إنهم زنادقة العصر الحديث**!** لقد جاءونا بفلسفة تُنكر الألوهية، تُمجّد الإنسان، وتُهين الدين. لن نسمح بأن نُستبدل بجحيم فلسفتهم الباردة جنةً وُعدنا بها منذ الأزل**!**"

أما الرئيس المستبد للدولة، فصرّح:

"الفكرُ الذي لا يخضع لأمن الدولة... هو إرهاب."

لكن رغم التهديدات، كانت شرارة الفكر قد بدأت تشعل النيران في عقول آلاف... ثم ملايين.

بدأ الكسندريون من كل صوب يُهرّبون *كتاب الجوهر والماهية* إلى دول أخرى، يُترجم إلى لغات العالم واحدة تلو الأخرى.
في القرى، تُتلى صفحاته في السراديب.
في المدن، يُكتب على الجدران:
"أينما وُجد الجوهر، تتفتح الماهية."

في أحد تقارير الأمن السرّي الدولي، ورد ما يلي:

"الكسندريون ينتشرون مثل النار في الحطب الجاف... لا يستخدمون السلاح، بل الكلمات... ولا يخافون الموت، لأنهم خرجوا من سجن الخوف."

وتم تسريب تسجيل صوتي لمسؤول رفيع في منظمة دينية كبرى يقول فيه:

"نحن نخسر المعركة. إنهم لا يهددون فقط الدين، بل يهددون كل نظام يعتمد على القمع والخوف. فلسفتهم تعني نهاية الطاعة... بداية الإنسان."

كانت السنوات الثلاث التي تلت ثورة الظلال كفيلة بأن تُحرك الأرض من تحت عروش الطغاة.

لم تعد حركة الكسندريين خافتة أو خجولة، بل صارت **تيارًا وجوديًا عالميًا** يخرج من بين أنقاض الحروب والأيديولوجيات المهترئة، ليزرع بذور الوعي في الشعوب.

ومع تزايد الانتشار، تشكّل تحالف دولي جديد من أنظمة دينية شمولية وأنظمة سياسية ديكتاتورية، أطلقوا عليه اسم:

"التحالف لحماية العقيدة والهوية"

لكن خلف هذا الاسم، كان هناك رعب خفي:
رعب فقدان السيطرة.

في أحد الاجتماعات السرية لقادة هذا التحالف، قال أحدهم وهو يضرب الطاولة بقبضته:

"هؤلاء الكسندريون أخطر من أي جيش. إنهم يسحبون من الناس قدرتنا على التحكم بهم باسم الدين والخلاص! لو لم نقم برد عالمي الآن... سننهار جميعًا!"

إعلان الحرب الفكرية

تم إعلان حالة الطوارئ في 27 دولة.
تم حظر كتاب "الجوهر والماهية" رسميًا في أكثر من 50 عاصمة.
وصدر أول مرسوم دولي يُصنّف الفلسفة الكسندرية على أنها:

"عقيدة تهدد الأمن الروحي والهوية الوطنية، وتشجع على التمرد على القيم."

وبدأت حملة إعلامية شرسة...
ملصقات، أخبار كاذبة، فتاوى... كلها تهاجم الفكر الجديد.

لكن الكسندريين لم يصمتوا.
في مؤتمر عالمي أقيم سراً في جزيرة منعزلة، خاطبتُ أنا، **ألكسندر أوريفان**، العالم بأسره عبر بث رقمي اخترق الرقابة:

"لقد تكلّمتم باسم الله آلاف السنين، ولم يبق منكم إلا الخراب.
نحن لا نكفر بالخالق، بل نكفر بالكهنة...
لا نحارب الغيب، بل نواجه الزيف.
أنتم لم تبنوا الجنة... بل سجونًا مغطاة بالآيات.
أما نحن، فنحمل القلم... لا السيف.
نحمل الإنسان، لا الوثن."

وبينما كنت أتحدث، كانت شاشات البث في دول الشرق الأوسط، وإفريقيا، وآسيا، وأميركا اللاتينية، تُخترق واحدة تلو الأخرى وتعرض خطابي.

الشعوب كانت تصفق، تبكي، تنهض من على ركب الخوف.
أما في قاعات التحالف الديني العالمي...
فبدأت الشروخ تظهر في جدران صمتهم.

حتى داخل صفوف رجال الدين والسياسة، بدأ الانقسام:

شباب رجال الدين الجدد بدأوا يتسربون إلى الفكر الكسندري سرًا.

جنرالات متقاعدون قالوا إنهم نادمون على عقود من القمع.

علماء من الداخل بدأوا بنقد الروايات المقدسة علنًا.

واشتعلت دول بأكملها من الداخل...
تونس، السودان، إيران، باكستان، وحتى المملكة العربية السعودية... شهدت مظاهرات ضخمة تحت شعار:

"لسنا عبيدًا... نحن الجوهر، نحن الماهية."

اللحظة الحرجة القادمة

التحالف الديني-السياسي يشعر بالاختناق.
الناس تنهض، والمؤسسات تسقط.
وبينما تقترب المواجهة الحاسمة بين الفلسفة الحرة وقوى الظلام...
نقترب من **نقطة التحول النهائية**.

كانت الغرفة مظلمة، يكسوها توتر يملأ الهواء حتى كأنه يمكن قطعه بالسكين. أمام طاولة ضخمة جلست قيادات التحالف الديني والسياسي، يراقبون عبر شاشات بث مباشر تجمع آلاف الكسندريين في أماكن مختلفة من العالم. كان المشهد لا يُصدق؛ شابات وشبان ينشدون الحق والحرية، لا سلاح في أيديهم إلا قلوبهم التي تشتعل وعيًا.

على الطاولة، جلس **مبعوث التحالف**، يحمل ورقة عفو دولي واحدة فقط:

"نحن نقدم لكم فرصة أخيرة... استسلموا، تسلموا قادتكم، وانسحبوا من الساحة. سنمنحكم عفوًا، ولن يُطال أحد منكم بأذى."

صمت الكسندريين كان الجواب الأول.

ثم خرجتُ أنا، ألكسندر، أمام الميكروفون:

"أنتم تقدمون لنا أوراق عفو... لكننا لم نطلب الرحمة منكم، بل طلبنا الحقيقة.
نحن لسنا مجرمين، نحن الباحثون عن جوهر الوجود، نحن الذين رفعوا القلم في وجه الظلام.
أنتم تخافون لأنكم تعرفون أن كلمة الحق أقوى من كل أسلحتكم.
لن نستسلم... لن نخضع لأوهامكم، ولن نعود إلى ظلام الجهل."

وبينما رفضنا العرض، بدأت البوصلة تتحول بشكل سريع في بلاد الظلام.

في أحد أكبر الأنظمة الإسلامية التي لطالما كانت من أشد الداعمين للتحالف، ارتفعت أصوات الشعب.
الناس خرجوا بأعدادٍ غير مسبوقة، يطالبون بالحرية، بالعلم، وبقطع شوط كبير من الخرافات التي ربطت حياتهم بالسلاسل.

في الشوارع، تلاشى صدى خطب رجال الدين الذين فقدوا مصداقيتهم.
تمزيق كتب مقدسة، رفع شعارات فلسفة الجوهر والماهية، واحتفالٌ شعبي بحياة بلا خوف.

القيادة السياسية في حالة شلل...
المساجد، التي كانت مراكز النفوذ، بدأت تتحول إلى ساحات للنقاش الحر،
والأئمة الذين حاولوا فرض السيطرة، وجدوا أنفسهم وحيدين، يُتجاهلون، يُعزلون، أو يضطرون للفرار.

على سطح أحد الأبنية المهجورة، وقفت مجموعة من الكسندريين وهم ينظرون إلى المدينة،
التي كانت قبل سنوات تعيش تحت قمعٍ خانق، والآن تستنشق نسيم الحقيقة.

أحد الشباب قال بصوت مكسور:

"لقد انتصرنا... لكننا خسرنا الكثير.
هذه ليست نهاية الألم، بل بداية حياة جديدة تحتاج منا الصبر والقوة."

كانت تلك اللحظة بداية لحقبة جديدة، حقبة حملت فيها الفلسفة الحرة مشعل الوعي،
مضيفة فصلًا جديدًا في التاريخ، فصلًا مليئًا بالأمل والتحدي،
لكنها كانت أيضًا دعوة للتحرر الحقيقي الذي لا يهدأ.

عالمٌ جديد يُشرق من رماد القديم

تحت شمس الصباح الخافتة، كانت الأرض تُشعر بأن شيئًا ما قد تغير إلى الأبد.
لم تعد القلاع القديمة من الجهل والخوف تسيطر على العقول، بل كان هناك زحفٌ هادئ من الوعي يملأ الشوارع والقرى والمدن.

في مدنٍ كانت يوماً تُعاقب فيها الكتب وتُعتقل فيها الأفكار، اليوم يتجمع الناس حول موائد حوار كبيرة، يدرسون فلسفة الجوهر والماهية، ويعيدون صياغة حياتهم على أساس المعرفة والحرية.

نهوض الشعوب: صوت يتعالى

في كل زاوية، تُرفع أصوات مناضلين جدد، ليس بالسلاح، بل بالكلمة والكتاب والفكر.

شابة تحمل بين يديها نسخة من كتاب **الجوهر والماهية** تقول لجموع من الناس:

"هذه ليست مجرد كلمات... هذه هي مفاتيح الحرية،
دعونا لا نخشى الحقيقة مهما كانت قاسية،
لأن في قبولها حياة جديدة تشرق."

تجمعات وورش عمل للفلسفة تنشأ في الساحات، مؤسسات جديدة تُبنى، مدارس تُنشأ لتعليم الفكر الحر والعقل النقدي.

لكن الطريق لم يكن سهلاً.
كانت هناك قوى عميقة تحاول أن تعيد الظلام، تنشر الخوف وتزرع اليأس.

قوى سياسية تلوح بظلالها، تحاول قمع الحركات الجديدة بالقوانين القمعية، وبالترهيب.

لكن الكسندريون لم يعودوا وحدهم.
الشعوب التي عاشت في صمت طويل بدأت تتحد، تشكل حركات مقاومة فكرية واجتماعية، تدافع عن الحرية بكل ما تملك.

وفي وسط كل هذا، بدأ مفهوم الإنسان يتغير.
لم يعد الإنسان عبداً لأساطير لا تفهمه، بل أصبح هو صانع معنى حياته، حر في اختياراته، مسؤول عن وجوده.

نظرية الجوهر والماهية أصبحت ليست فقط فلسفة، بل نهج حياة.

"أنا قبل ولادتي...
وأنا بعد ولادتي...
واللحظة التي أتوحد فيها مع جوهري هي اللحظة التي أحرر فيها نفسي من قيود الخوف."

في هذا العالم الجديد، لم تُمحى كل الجراح،
لكن القلب المثقل صار يتنفس بحرية.

بدأنا نكتب صفحات جديدة، ليس فيها مكان للظلم أو الخرافة،
بل صفحة الإنسان الحي، الباحث عن الحقيقة، مهما كانت مؤلمة، لكنه حر.

حياةٌ متجددة — رحلة نورا في عالم الكسندريين

نورا كانت فتاة في ربيعها الثاني والعشرين، عاشت طوال حياتها تحت وطأة القيود والخوف من السؤال، من التفكير، من مجرد طرح ما يُقال في المسجد أو في البيت.
لكن في اللحظة التي التقت فيها بفلسفة الجوهر والماهية، بدأت رحلة جديدة تفتح أمامها أبواباً لم تكن تحلم بعبورها.

في البداية، لم تكن الأمور سهلة.
كانت تخشى حتى مجرد مناقشة أفكار جديدة مع أهلها أو أصدقائها، خشية أن تُتهم بالهرطقة أو تُبعد عنهم.

في أول اجتماع فكري، جلست بين مجموعة من الكسندريين في غرفة صغيرة مضاءة بشموع خافتة،
وهي تسمع لأول مرة عن الإنسان قبل ولادته، عن الجوهر والماهية، عن الحرية الحقيقية التي لا تأتي من الالتزام الأعمى، بل من الفهم.

دمعت عيناها، شعرت بثقل سنوات من الخوف يذوب في تلك اللحظات.

لكن الرحلة لم تكن فقط احتفالاً بالحرية، بل كانت معركة مستمرة مع الذات.

كانت تواجه أحيانًا موجات من الشك، من الألم، من الوحدة.
كيف يمكنها أن تشرح لعائلتها التي لا تزال متمسكة بالخرافات؟
كيف يمكنها أن تتحرر من ثقافة زرعت فيها الخوف كجزء من وجودها؟

في لحظة من اليأس، كتبت في دفترها الخاص:

"أحيانًا أشعر كأنني وحيدة في ظلمة لا تنتهي،
لكن قلبي يقول لي: استمري... لا شيء يستحق أن يُحيا إلا الحقيقة."

لم تمض سنوات إلا ووجدت نورا نفسها في قلب الحركة الكسندرية، تنظم لقاءات، تكتب مقالات، تحفز الآخرين على التفكير، على التساؤل، على رفض الخضوع.

تحدثت في الأماكن العامة، بجرأة مؤلمة،
كانت كلماتها تخترق الصمت، تحمل في طياتها وجع كل من يعاني ويريد الحرية.

مع مرور الوقت، لم تعد نورا تخاف.
عرفت أن الألم جزء من الحرية، وأن المعاناة ليست عبثًا، بل طريق نحو الفهم واليقين.

في إحدى الليالي، وهي تنظر إلى السماء الصافية، كتبت:

"أنا لست ما قالوا لي أن أكون،
أنا جوهري، أنا ماهيتي،
أنا الحرة التي وُلدت من رحم الألم،
ولن أعود للظلام مهما كان الثمن."

حياة نورا تمثل ملايين الأصوات التي صعدت من ظلام القمع إلى نور الوعي،
رحلة كل إنسان يريد أن يعيش حقيقته دون خوف.

وبينما تسير في هذا العالم الجديد، تبقى الأسئلة مفتوحة، لكن القوة الحقيقية تكمن في الشجاعة على البحث.

مع تصاعد نفوذ حركة الكسندريين، بدأت أمواج التحديات تتكاثر.
لم تكن مجرد قمع مادي، بل معارك فكرية ونفسية، وصراعات على الهوية، وعلى قبول الآخر المختلف.

القيادات التقليدية، التي كانت متجذرة في السلطة والهيمنة، لم تقبل بسهولة أن تُهزَّم معتقداتها أو أن يخرج الناس من تحت رحمتها.

الكسندريون أنفسهم واجهوا صراعات داخلية؛
بين من أرادوا تسريع التغيير بأي ثمن، ومن نادوا بالحكمة والصبر، ومن خافوا أن تطيح الثورة بهم إذا فقدوا وحدتهم.

صراعات مبدئية، لكن كل واحدة منها كانت جزءًا من نمو الحركة وتطورها.

الأنظمة العالمية، وخاصة التي ترى في فلسفة الجوهر والماهية تهديدًا مباشرًا لنفوذها، بدأت تستعمل كل أدواتها؛
مراقبة، تضييق، اعتقالات، حتى تدمير المؤسسات التعليمية الجديدة.

لكن كل محاولة قمع كانت تُقابل بصمود وتصميم أكبر.

رد الكسندريين: وحدة القوة

بقيادة كسندر، تعلم الجميع أن أقوى سلاح هو الفكر الحر والكلمة الواعية.

تم إنشاء شبكة دعم عالمية تربط القبائل الكسندرية،
تبادلوا المعرفة، الخبرات، والحكمة، ووسعوا نطاق نشر فلسفتهم.

بدأوا يتحولون إلى حركة عالمية تنادي بالحرية والعدالة والوعي.

بعد سنوات من الصراع، اجتمع قادة الكسندريين في مؤتمر عالمي،
تبادلوا الآراء بصراحة، واعترفوا بأخطائهم، ووضعوا أسسًا جديدة لوحدة الحركة.

تم اعتماد ميثاق شفاف يحترم التنوع داخل الحركة ويضمن حرية التعبير،
مما جعل الحركة أكثر قوة ومرونة في مواجهة أي تحدٍ.

مع مرور الوقت، بدأ العالم يستجيب.

بدأت الحكومات تتبنى إصلاحات تدريجية،
تقلصت موجات القمع، وارتفعت أصوات الحوار والتفاهم.

لم يعد هناك مكان للخوف، بل للبحث، للنمو، للحرية.

في نهاية هذا الفصل من التاريخ،
ظل كسندر ونورا وكل من حملوا راية الحركة يعلمون أن الطريق طويل، وأن الحقيقة ليست وجهة بل رحلة مستمرة.

لكنهم كانوا على يقين أن كل خطوة نحو الفهم والوعي هي خطوة نحو نور لا ينطفئ.

نور الأمل — خاتمة الرحلة وتأملات المستقبل

كانت السماء تمطر برفق،
وعلى تلّة صغيرة وسط مدينة تبدو كأنها تستعيد روحها بعد عاصفة طويلة، تجمع الكسندريون، كبارًا وصغارًا، من مختلف الأعمار والثقافات.

نورا تقف بينهم، عيناها تلمعان بحنانٍ وأمل.
كسندر بجانبها، يرفع كتاب الجوهر والماهية،
ويقول بصوتٍ هادئ لكنه صلب:

"ها نحن اليوم،
لسنا وحدنا، ولا نحن آخر الطريق،

بل بداية الفجر الذي طال انتظاره،
فالحقيقة ليست فكرةً مغلقة،
بل روحٌ متجددةٌ في كل قلب يبحث."

وهنا أترككم مع تأملاتي الأخيرة،
كلمات كتبتها على هامش حياتي،
بين الألم والحرية، بين السؤال واليقين:

"لم يكن بحثي عن المعنى مجرد رحلة،
بل صرخة أطلقها قلبي في ظلمة الوجود،
صرخة تبحث عن بصيص نور في متاهة الحياة.

وجدت أن المعنى لا يُعطى،
بل يُبنى من تداخل جوهرنا وماهيتنا،
من لحظة الوعي والقبول والتحدي.

حرية الإنسان ليست في الالتزام الأعمى،
بل في القدرة على الاختيار،
على التساؤل، على رفض الظلم والجهل.

مهما حاولوا أن يكتموا الحقيقة،
تظل كالنار في أعماقنا،
تشتعل كلما هبت رياح القمع،
وتنير دروبنا نحو فجر جديد،
حيث نكون نحن،
بكل ما فينا من ضوء وظلام،
لكننا أحرار."

وهكذا تنتهي رحلتي،
لكن قصتكم أنتم فقط من يكتب فصولها القادمة.

هل ستختارون أن تكونوا أحرارًا في فكركم؟
هل ستسمحون لأنفسكم أن تبحثوا وتحبوا،

أن تكسروا قيود الماضي،
وتبنون معنى جديدًا للحياة؟

الجواب في داخلكم،
ومهما كانت الإجابة،
تذكروا: كل إنسان هو جوهر وماهيّة،
كل روح تستحق أن تُسمع، أن تُحترم، أن تحيا.

حين نطقت (بصوتي، هادئ لكنه مشحون بالعاطفة)

"كنت أظن أنني وحدي في هذا العالم المظلم،
وأن الحقيقة لعبة صعبة لن يفهمها أحد.
لكنني اكتشفت شيئًا مختلفًا،
أن في داخل كل منا نارًا لا تخمد،
روحًا تطالب بالحرية،
ووجدانًا يبحث عن معنى يتجاوز الألم.

لا يمكن لأحد أن يأخذ منا حق السؤال،
ولا الحرية في التفكير،
كل فكرة حرّة هي ثورة صغيرة،
كل تساؤل هو خطوة نحو خلاصنا.

أنا لا أملك كل الأجوبة،
لكنني أؤمن بأن رحلتنا مع الوعي،
مع الفهم، مع الحب والحرية،
هي التي تصنع المعنى الحقيقي.

فالخوف والجهل قد يلاحقاننا،
لكننا لن نكسر، لن نستسلم،
فالحياة تستحق أن تُعاش،
والحرية تستحق أن تُدافع عنها.

هذه ليست نهاية،
إنها بداية فجر جديد،
فلنحمله معًا."

الفصل الثالث

الوصايا العشرة بين يدي

الوصايا العشر بين يدي الكسندر

1. **دع عقلك يطير بلا قيود، لا تُقيد أفكارك بسلاسل جاهزة، فالعقل الحر وحده قادر على أن يرى ما لا يُرى، ويصل إلى ما لا يُدرك.**

2. **لا تخشى السؤال، حتى لو مزّقك تيار الشك، فالسؤال هو بوابة الوعي، والسكوت أمام الجهل هو بداية الغرق في الظلام.**

3. **تقبّل ألمك، فهو جرحك الوحيد الذي يحمل بصمات الحقيقة، لا تهرب منه، فهو المعلم الذي يفتح عينيك على عمق وجودك.**

4. **لا تبيع حقائقك من أجل سلامة مزيفة، فلا راحة في الغفلة، والنور الحقيقي يولد في اللحظة التي تواجه فيها ظلامك دون خوف.**

5. **المعنى ليس هبة تُلقى عليك، بل صراع داخلي مستمر، حكاية بين جوهرك وماهيتك، قصة تُكتب بحبر الألم والفرح.**

6. **تحرر من أسر الخوف، فهو ذلك السجان الذي يحاصر روحك، والعقل الذي يخاف لا يستطيع أن يتنفس، ولا أن يحلق في فضاء الحقيقة.**

7.كن صادقًا مع نفسك حتى وإن كلفك ذلك كل شيء، فالكذب على الذات موت بطيء، والحقيقة التي تعيشها بسلام هي بداية الخلاص.

8.لا تنتظر من أحد أن ينقذك، فالخلاص يولد في داخلك، في لحظة وعي حرة، في قرار أن تصنع حريتك بأيديك.

9.احمل القلم كما يحمل المحارب سيفه، فالكتابة هي صوتك الذي لا يُقهر، والكلمة هي نور ينير دربك ودرب الآخرين في ظلمة الجهل.

10. تذكر دومًا أن الحياة ليست نقطة نهاية، بل رحلة أبدية من البحث، والحرية ليست مكانًا تصل إليه، بل حالة من التجدّد لا تنتهي.

الخطايا العشر التي يجب عليك تجنبها

الخطايا العشر التي يجب تجنبها

1.السكوت عن التساؤل

أن تتوقف عن طرح الأسئلة هو بداية الانزواء في ظلام الجهل، وهو استسلام مسبق لما يُفرض عليك من أفكار لا تعبر عن حقيقتك.

2.التخلي عن الذات من أجل الارتياح المؤقت

أن تتخلى عن مبادئك وقناعاتك لتجنب الألم المؤقت هو خيانة لنفسك، يُنتزع منها جزء لا يُعوّض من كرامتك وحريتك.

3.الاستسلام للخوف

الخوف هو سجن الروح، ومن يسمح له بأن يسيطر عليه يفقد القدرة

على التفكير بحرية، ويصبح عبدًا لإرادات خارجية.

4.الكذب على النفس

عندما ترفض مواجهة الحقيقة وتختار العيش في أوهام، فإنك تضع قيودًا على روحك تمنعها من التحرر والنمو.

5.الاعتماد على الآخرين في البحث عن الحقيقة

أن تنتظر أن يمنحك الآخرون إجاباتك أو خلاصك هو رفض لتحمّل مسؤولية حياتك وفقدان لفرصة اكتشاف ذاتك.

6.التشبث بالخرافات بدل الحقيقة

التمسك بما لا يدعم بالمنطق أو الأدلة هو رفض للواقع ويعرقل طريق التقدم الشخصي والعالمي.

7.الانجرار وراء الغضب والكراهية

الغضب بلا وعي هو نار تحرق صاحبها قبل الآخرين، ويحول البحث عن الحقيقة إلى معركة ضياع.

8.الاستسلام عند أول عقبة

العقبات جزء لا يتجزأ من أي رحلة، والتراجع عنها عند أول فشل هو تنازل عن حقك في النمو والتطور.

9.الخوف من التعبير عن الحقيقة

التكتم عن ما تعتقده خوفًا من الرفض أو العقاب، هو خنق لصوتك الحقيقي، مما يمنح الظلمة فرصة السيطرة.

10. رفض التغيير والنمو

البقاء في دائرة الراحة القديمة بالرغم من معاناة اللامعنى، هو حبس النفس في قفص الزمن، وحرمانها من فرصة التفتح والحرية.

في ضوء الجوهر والماهية

الخطايا العشر في ضوء نظرية الجوهر والماهية

1.الغفلة عن اتحاد الجوهر بالماهية

حين تغفل أن جوهرك الحقيقي يتجسد فقط عندما تتصل بماهية وجودك، فإنك تعيش انفصالاً داخلياً يؤدّي إلى شعور بالضياع والتمزق الروحي.

2.إنكار ماهيتك والتخلي عنها

التخلي عن الماهية – أي ذاتك الحقيقية التي تنمو وتتغير – من أجل الاستسلام لشكل مزيف أو معاناة مؤقتة، هو رفض لجوهر وجودك، مما يحولك إلى مجرد ظل بلا روح.

3.خضوعك للظروف كأنها جوهرك

عندما تسمح للظروف الخارجية أن تفرض عليك تعريفك لذاتك، فإنك تبيع جوهرك الحر وتغدو عبدًا لمصير ليس لك، فاقدًا القدرة على خلق ذاتك.

4.الكذب على ماهيتك

أن تنكر التناقضات الموجودة في ذاتك أو تحاول قمعها، يعني أنك ترفض اتحاد الجوهر مع الماهية، فتخلق شرخاً داخلياً يحطم قدرتك

على أن تكون كياناً حقيقياً ومتماسكاً.

5.الاعتماد على مآثر الآخرين لتعريف وجودك

أن تعيش بمعايير ومعتقدات الآخرين، وتتجاهل مهمة تكوين جوهرك الخاص ومهايتك الخاصة، هو التنازل عن حرية وجودك، وترك ذاتك في حُكم الآخرين.

6.تمسكك بأوهام ثابتة تثقل الماهية

إلصاق جوهرك بأوهام أو حقائق جامدة تحرم الماهية من حرية التغير والنمو، وهذا يعني خنق تطور ذاتك وحصر وجودك في قالب ميت.

7.الاحتجاز في دوامة الغضب والكره

عندما تترك هذه المشاعر تسيطر على جوهرك، فإنك تنزع عنه سلامه الطبيعي، وتفقد توازنك الذي يمكّنك من التعبير عن ماهيتك بشكل صحي ومتوازن.

8.الهروب عند أول اختبار لوحدتك الوجودية

كل رحلة للذات تتطلب مواجهة وحيدة مع جوهرها وماهية وجودها، والهروب من هذه المواجهة هو رفض لوجودك الحقيقي، وتفريط في حرية التكوين.

9.الخوف من إظهار ماهيتك الحقيقية

التكتم على جوهرك ومخاوفك يمنع اتحاد جوهرك الحقيقي مع العالم، فيصبح وجودك مشوهًا ومجزّأً، ما يحرمك من العيش بحرية وأصالة.

10. رفضك للتغير والتطور المستمر

الماهية ليست ثابتة، بل هي عملية مستمرة من التغيير والتكوين،

فرفض هذا التطور يعني أنك تحبس جوهرك في حالة موت بطيء، تحرمك من النمو والحرية.

في هذا الإطار، كل خطيئة هي ابتعاد عن الوحدة الحقيقية بين الجوهر والماهية، التي هي الأساس لفهم الحرية، الذات، والوجود. وكل تجاوز لهذه الخطايا هو خطوة نحو تكوين جوهرك الأصيل والعيش بحرية حقيقية، لا تقيدها أوهام أو قيود خارجية أو داخلية.

في عمق وجود الإنسان تكمن علاقةٌ متجددة وديناميكية بين جوهره الثابت وماهيته المتغيرة، علاقة تشبه رقصة أزلية تُحدد ملامح ذاته الحقيقية. الجوهر هو البذرة الأولى، الكينونة التي لا تفنى، وهو السمة الأبدية التي تميز الإنسان عن سواه. أما الماهية، فهي الصورة المتحركة التي تتشكل بفعل التجارب، المشاعر، والقرارات التي تُبنى في كل لحظة، مرآة للحياة نفسها.

كل فعل نقوم به، وكل شعور ينبعث في داخلنا، هو نتاج هذا التفاعل المستمر بين جوهرنا وواقعنا المادي. حين نواجه العالم الخارجي، تُثار فينا ردود أفعال تنبع من طبيعة أجسادنا، من كيمياء دمائنا، ومن الانفعالات التي تعتمل في أعماقنا. هذه المظاهر المادية تمثل الهيئة، الوجه الظاهر للحياة، التي قد تتحكم فينا أو نصبح نحن من يتحكم بها، حسب مستوى وعينا وإدراكنا.

إن الإنسان الحر هو ذلك الذي يمتلك القدرة على وعي ذاته، على تمييز هذه الهيئة المؤقتة والمتحركة من جوهره الثابت. يستطيع أن يُمسك بمقود حياته، فيسيطر على انفعالاته الغريزية، ويختار أفعاله بتعقل ومسؤولية. هذه السيطرة ليست قمعاً للنفس، بل انسجامٌ بين جوهره وماهيته، حيث يوجه طاقاته في اتجاه يليق بذاته الحقيقية، لا أن يسمح لأنماط سلوكية قسرية أو غرائز ضاربة في العمق أن تهيمن عليه وتجره نحو الانحراف.

في هذه اللحظة، تظهر حرية الإنسان الحقيقية: حرية الاختيار التي تنبع من العلاقة المعقدة بين ما هو ثابت فيه وبين ما يتبدل. إذا استسلم للهيئة، إذا ترك للجوانب المادية أن تقوده بلا وعي، فسينزلق نحو ما هو أدنى من جوهره، نحو ماهية قاسية أو مدمرة، تعبر عن ضعف الوعي وغياب النضج. أما إذا تمسك بالجوهر، وإذا وظف هذه القوة الداخلية في ضبط ماهيته، فسيخلق ذاتاً متزنة وعاقلة، تُحترم في ذاتها وتراعي حقوق الآخرين، حيث يتحقق معنى وجوده الحقيقي.

وبهذا، يُكتب مصير الإنسان في كل اختيار، في كل لحظة يتوازن فيها بين جوهره وماهيته. ليس هناك مصير ثابت، بل هناك حركة مستمرة، صراع أبدي بين الكينونة والتغير، بين الثبات والتطور. هذا هو سر الطبيعة الإنسانية، وهذا هو معنى الحرية الحقيقية التي تتجاوز السكون والجمود إلى بحر لا ينضب من الإمكانيات والاختيارات.

كلما أدركنا هذه الحقيقة، كلما اقتربنا من فهم أعمق لطبيعتنا، ولنصبح ليس فقط أحياء في الجسد، بل أحراراً في الروح.

خيل شخصاً يعيش في مجتمعٍ يملؤه الغضب والظلم، يحمل بداخله رغبة في الانتقام والتعصب. في داخله جوهره الذي يؤمن بالعدل والرحمة، ولكنه يشعر بانفعالات غضبه التي تتصاعد كعاصفة من الهيئة، تمثل ردود فعل جسده وعقله البيولوجية.

في تلك اللحظة الحرجة، يستطيع هذا الإنسان أن يعي حالة التوتر داخله، أن يتوقف قليلاً ويتأمل ما يحدث. هنا يظهر تفاعله بين الجوهر والماهية: هل يترك الغضب يتحكم به، فيُمارس العنف أو الظلم، وينحدر إلى ماهية قاسية وظلامية؟ أم يستدعي جوهره الثابت الذي يؤمن بالحق والإنسانية ليُرشد أفعاله، فيختار التصرف بحكمة وضبط النفس، حتى لو كان الثمن صبرًا مؤلمًا؟

هذا الاختيار ليس سهلاً، فهو معركة بين ما هو ثابت داخلي وبين ما يُفرض من مشاعر وهياكل خارجية، لكنها تحديد لماهية هذا الإنسان في هذه اللحظة. عبر هذا التفاعل، تتحدد قيمته الحقيقية، وتُكتب حكايته التي يرويها الزمن.

الوعي هو حالة تفاعل مستمر بين الجوهر الثابت والماهية المتغيرة:
لا يمكن فهم الوعي على أنه مجرد حالة بيولوجية أو نشاط دماغي، بل هو محصلة صراعات داخلية دائمة بين جوهر الإنسان، وهو هويته الأصيلة والقيم الثابتة، وبين ماهيته التي تتشكل من ظروفه الخارجية، تجاربه ومشاعره وحاجاته المتغيرة.

الواقع هو انعكاس لتفاعل الجوهر والماهية، وليس كياناً ثابتاً منفصلاً عن ذات الإنسان:
لا وجود لواقع مستقل ومستقر يمكن أن يُدرك بمعزل عن الذات، فالواقع يتشكل من خلال إدراك الإنسان ذاته ومن خلال الصراعات والتوازنات بين جوهره الثابت وماهيته المتغيرة.

كل فعل صادر عن الإنسان هو تعبير مباشر عن ماهيته في لحظة الوعي، وليس نتيجة قوة خارجة عنه:
لا وجود لقوى إلهية أو قوى كونية تحكم أفعاله، إنما هو حر في اختياراته، وصراعه بين جوهره والماهية يحدد ماهية الفعل وتأثيره في العالم.

الشر هو نتاج قرار واعي نابع من تفاعل خاطئ أو تعبير عن ماهية مشوهة:
الشر لا يأتي من قوة شريرة خارجية أو قدر مكتوب، بل هو انعكاس لأفعال ذواتٍ لم تستطع السيطرة على ماهياتها المتغيرة أو استسلمت للغريزة

والظروف، فاختارت أفعالًا تخالف جوهرها الإنساني الأصيل.

الحرية الحقيقية ليست انعدام القيود، بل قدرة الجوهر على توجيه الهيئة لتحقيق الماهية الأسمى:

الإنسان حر عندما يكون واعياً بما يحدث داخله، ويتمكن من إرشاد هيئة جسده وعقله نحو اختيارات تعبر عن جوهره الثابت، وليس مجرد انفعال عابر أو استجابة غريزية.

الوعي بالذات هو الخطوة الأولى لتحرير الماهية من أسر الهيئة وتأثيرات الواقع:

عندما يدرك الإنسان تناقضاته الداخلية، ويواجه ضعف ماهيته وتغيراتها، يبدأ في السيطرة على أفعاله وفهم ذاته بشكل أعمق، ويصبح قادراً على تشكيل واقع جديد يعبر عن جوهره.

لا معنى للشر أو الخير ككيانين مطلقين، إنما هما وصف لحالات متغيرة من ماهية الإنسان وتأثير أفعاله على ذاته والآخرين:

الشر والخير هما انعكاسات وصفية لفعل ما داخل نظام تفاعل الجوهر والماهية، ولا يجب فهمهما على أنهما قوة مستقلة أو مُطْلقة.

معضلة الشر:

الشر هو نتيجة طبيعية وصادمة لتضارب داخلي بين جوهر الإنسان، الذي يمثّل القيم الأصيلة، وبين ماهيته التي قد تُشوه بفعل الجهل، الألم، أو الظروف القاسية المحيطة.

عندما تستسلم الماهية، وهي تركيب الكيان المادي والبيولوجي والنفسي، لانفعالات وغرائز غير محكومة، فإنها تسيطر على الجوهر، فينتج عن ذلك أفعال مؤذية وعنيفة يُطلق عليها الشر.

لا يوجد إلهٌ يعاقب، ولا مصيرٌ مكتوب، ولا "كارما" تحاسب. فقط الإنسان ذاته هو من يخلق ويختار، يتحمل وزر أفعاله.

هذا الوعي الصارم بالذات، بلا أوهام خارجية أو هروب إلى عوالم ميتافيزيقية، هو ما يضع مسؤولية الحقيقة والحرية كاملة على كاهل الإنسان نفسه. وهنا تكمن قساوة الواقع، وفيها أيضاً تكمن إمكانية التغيير والتطور.

فلسفتي حول البحث عن المعنى والغاية نابعة من رحلة طويلة وشاقة، من صراعات داخلية عميقة لم تنقطع، رحلة عشتها بين ظلال الألم والشك، حيث كادت الأسئلة أن تبتلعني، لكنني صمدت لأصل إلى نقطة إدراك جديدة.

أنا لا أزعم الوصول إلى حقيقة مطلقة، فالحقيقة المطلقة، كما تعلمت، هي سر مستحيل أن نبلغ كنهه بالكامل. لكنها ليست غاية عبثية؛ بل يمكننا أن نقترب منها، أن نستخلص أجزاءً منها، أن نوسع فهمنا للحياة، وأن ننظر إليها بعقلانيةٍ لم تعهدها الإنسانية من قبل.

في هذا البحث، أدركت أن الديانات، التي ظلت لآلاف السنين تحمل راية المعنى والغاية، ليست سوى محاولات بشرية لتسيير العقول، للسيطرة على الأرواح، للقيد والنير. أوهام تُبنى على وعود جنة ونار، تخلق حالة من الخوف والرهبة، تكبح الإنسان وتُبقيه في دائرة من الإذلال والخضوع.

اليوم، نحن نمتلك أدوات فكرية وعقلانية للإجابة على الأسئلة الوجودية الكبرى، بأسلوب صادق، خالٍ من الخرافة:

ما الذي يبقى فينا حين نصمت، وننام، ونغيب؟
هل نحن مجرد أجساد تدرك، أم وعيٌ أزلي يسكن في جسد زائل؟

أين نذهب حين ننام؟
من هو الذي يرى الأحلام؟ ومن يعود من الموت ليحكي ما رآه؟

هذه الأسئلة ليست من قبيل التأملات العابرة، بل هي مفاتيح لفهم جوهر الإنسان، كما لم يُطرح من قبل.
هل الوعي ينبع من الدماغ وحده، أم هو كيان أعمق، لا يُقاس بالمادة؟ هل الإنسان هو مجموع أفعاله فقط، أم هو تجربة تتجاوز المظهر؟ هل يمكن أن يوجد جوهر ثابت، مستقل عن الجسد والعقل والمشاعر، جوهر يُعرّف الإنسان حقاً؟

نظريتي ترتكز على أن الإنسان هو تفاعل مستمر بين جوهره الثابت وماهية جسده وعقله المتغيرة، وأن فهم هذا التفاعل هو السبيل لفهم الذات، وتجاوز معضلات الوجود، ومواجهة معضلة الشر التي لا تنبع من قوى خارجة، بل من اختيارات ذواتنا.

في هذا الفهم، تتحرر النفس من أسر الوهم، وتبدأ رحلة حقيقية للوعي، رحلة تتحكم فيها الذات بقيمها، لا بما فرض عليها من معتقدات وأوهام.
هكذا، نعيد للإنسان حريته وكرامته، ونفتح أمامه أفقاً جديداً من المعنى، حيث لا سلطان فوق العقل، ولا قيود فوق الحرية.

جلستُ وحيدًا على شرفة المنزل العتيق، حيث تهب نسائم المساء برقة بين أوراق الشجر، تهمس بأسرار لا تحتاج لكلمات.
السماء تموج بألوان الغروب، برتقاليها الذهبي ينساب بلطف فوق الأفق، وكأنها لوحة رسمها الزمن ذاته.
هدوءٌ عميق يملأ المكان، وصوت خرير مياه النهر القريب ينساب كأنشودة حياة هادئة.
أغمضت عيني للحظة، وأطلقت لساني يهمس لنفسي:
«يا نفسي، ما رأيكِ يا ماهيتي القديمة في هذا الهدوء، في هذا الوضوح الذي وصلنا إليه بعد كل العناء؟»
وبهدوء، شعرت بردّها ينبعث كنسمة دافئة من داخل قلبي:

«أنا سعيدة، أخيراً.. سعيدة لأنك وجدت طريقك، لأنك حررتني من ظلمات الشك والقلق، لأنك لم تستسلم لليأس، بل اخترت أن تشرق بنور الحقيقة.»
ابتسمتُ، وابتسمت معي كل زاوية في روحي، وكأن الكون بأسره قد استراح قليلاً بعد رحلة طويلة من العناء.
لقد كان السلام الحقيقي، ذاك السلام الذي ينبع من الفهم العميق للنفس، واحتضان المعنى وسط كل تناقضات الحياة.
وفي تلك اللحظة، لم يكن هناك شيء أكثر جمالاً من أن أكون أنا، بكل أجزائي، متحداً مع ماهيتي، في هدوء لا يزعجه شيء سوى نبض الحياة الهادئ.

بينما كان الغروب يتلاشى ببطء، تراقصت أولى نجوم الليل بخجل على بساط السماء الداكن، كأنها ترسل لي تحية صامتة تبارك رحلتي الطويلة.

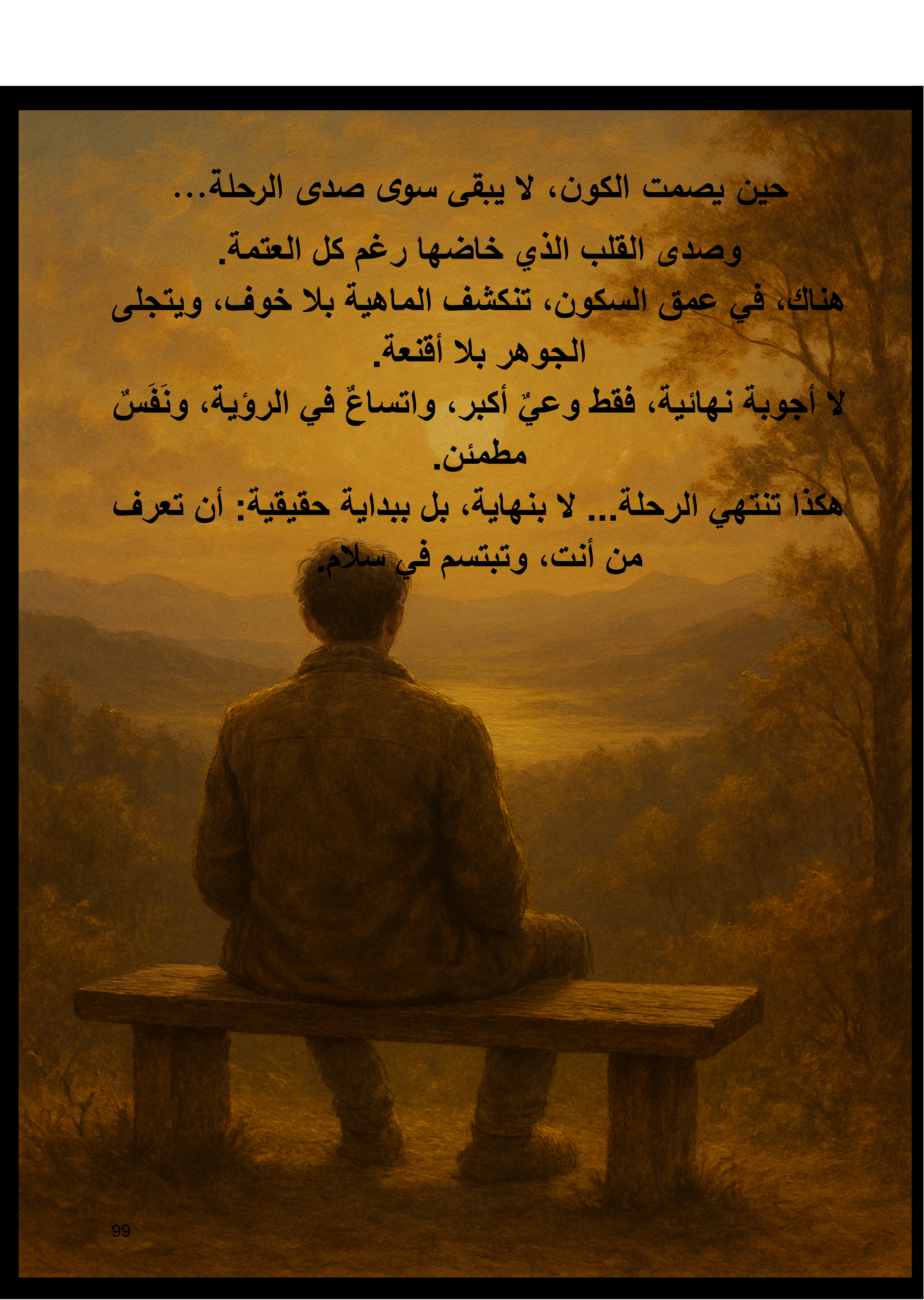
وقفتُ، أنفاسي تتماشى مع نسيم المساء، وقلبي ينبض بلطف، كأنه يهمس لي بأن كل خطوة، كل ألم، وكل سؤال كانت بوابة نحو هذا السلام الذي أجد فيه نفسي أخيراً.

رأيتُ في السماء لوحة لا تنسى: قمرٌ نصف مكتمل يتوسطها، ينير طريق الليل بضيائه الحنون، رمزٌ لجزء الحقيقة التي عرفتُها، نصف مكتمل لكنه كافٍ ليهدي دربي.

فهمتُ أن الرحلة لم تنتهِ، لكنها الآن رحلة محبة، وهدوء، ورضا.

كلمة:
في عمق كل ظلمة، يشرق نور — فليكن نورك أنت.

(في ختام هذه الرحلة، تظل الحقيقة كاللغز المتقن الذي لا يُفك إلا بعقل يتجاوز حدود المألوف، وعين ترى ما لا يراه الجميع، فأنا لم أكن سوى الشارد بين السطور، ذلك الذي يقلب المفاهيم، ويصنع من الألم نورًا، ومن السؤال جسرًا نحو الوعي).


حين يصمت الكون، لا يبقى سوى صدى الرحلة...
وصدى القلب الذي خاضها رغم كل العتمة.
هناك، في عمق السكون، تنكشف الماهية بلا خوف، ويتجلى الجوهر بلا أقنعة.
لا أجوبة نهائية، فقط وعيٌ أكبر، واتساعٌ في الرؤية، ونَفَسٌ مطمئن.
هكذا تنتهي الرحلة... لا بنهاية، بل ببداية حقيقية: أن تعرف من أنت، وتبتسم في سلام.